طرائف كردية

الجزء (الأول والثاني)

طرائف كردية 1

حقوق الطبع والنشر محفوظة

اسم الكتاب:

طرائف كردية

الجزء(الأول والثاني)

المؤلف:

تيريز

ترجمة:

الشيخ توفيق الحسيني و دلاور زنكي

التصميم والإخراج الفني: **رويار زنكي**

سوريا/ دمشق-٢٠١٠

تيريز

طرائف كردية

الجزء (الأول والثاني)

ترجمة:

الشيخ توفيق الحسيني و دلاور زنكي

طرائف كردية 4

مقدمة النسخة الكردية

مما لا ريب فيه أن الشاعر "تيريز" هو من أبرز الفرسان في مضمار الشعر الكردي المقفى الموزون "المنظوم".

لقد استطاع هذا الشاعر الكبير بفضل يراعه الذهبي، وعاطفته الجياشة وعشقه العظيم لوطنه أن يرسم لوحات زاهية فتانة عن جبالها الشامخة، ومروجها الخضراء، ورياضها الغناء ويصف سلسبيل مياه جداولها وأنهار وغدرانها ويتغنى بأسماء شخصيات العشق والجمال والحب العذري مثل "ستي و زين".

والشاعر "تيريز" له باع طويل في ميدان النثر.. ولما كان مولعاً بماضي الأسلاف، شغوفاً بالإرث الشعبي الذي ما أتيحت له الفرص ليدوّن في بطون الاسفار وظل ينتقل على الشفاه من جيل إلى جيل فقد استثمر كتابته النثرية للحفاظ عليه وصونه عن الضياع. وجمع من ذلك قصصاً وطرائف كثيرة وضعهما في كتابين منفصلين تحت عنوان "سربيهاتيين كردان= serp.hatiy.n Kurdan" وإذ كان الشاعر مدركاً لأهمية هذا اللون الأدبي الشعبي فقد أولاه اهتماماً جاداً كبيراً.

وإننا لنستطيع القول بأن الأدبيات الشعبية هي ينبوع ثرٌ من لبن الأم التي أرضعته أولادها الشعراء والكتاب والمؤرخين فامتزج هذا اللبن بفكرهم وعقولهم ومشاعرهم.

في عام ١٩٩٢م نشر الشاعر "تيريز" كتاباً بعنوان "سربيهاتيين كردان= serp.hatiy.n Kurdan" وهو الجزء الأول وكان هذا الجزء من الكتاب يضم بين دفتيه (٤٥) خمساً وأربعين طرفة أو حادثة.

بعد رحيل الشاعر –تغمده الله برحمته- وصلني من أهل بيته مخطوطان... كان المخطوط الأول عبارة عن كتابٍ يضم قصة المولد النبوي الشريف الذي

نظمه شعراً... وكان المخطوط الثاني القسم الثاني أو الجزء الثاني من الكتاب السابق الآنف الذكر يضم بين دفتيه (٣١) واحداً وثلاثين طرفة... وكان هذان المخطوطان مكتوبين بالحروف العربية فاستبدلتهما بالحروف اللاتينية وكتبت لكل منهما مقدمة للتعريف بهما.

ولا نشك في أننا بعملنا هذا أنقذنا كتابين نفيسين من أعمال الشاعر "تيريز" وأثرينا بهما مكتبتنا أيّما إثراء.

دلاور زنكي

سيرة الشاعر والكاتب "تيريز" Tîrêj:

ولد الشاعر "تيريز" عام ١٩٢٣م في قرية "نجم" القريبة من مدينة القامشلي في محافظة الحسكة. اسمه الحقيقي: نايف بن حسو، فلما بلغ من العمر ستة أعوام رحل والده مع أفراد أسرته الى قرية "سيمتك" التابعة لعاموده واستتب به المقام فيها. وفي "سيمتك" تعلم قراءة القرآن على يد "ملا ابراهيم كولي" وبعض الكتب في علوم الدين والشريعة الاسلامية. وهكذا بدأ يتعلم القراءة والكتابة على غرار معظم الشعراء الأكراد الذين كانوا يتلقون المعرفة في المدارس الأهلية المعروفة "حجرة".

في عام ١٩٣٧م تابع دراسته الابتدائية في احدى المدارس الرسمية الخاضعة لدائرة المعارف أو وزارة المعارف آنذاك، مثابراً على ذلك خمسة أعوام ثم انقطع عن التحصيل العلمي بسبب الفاقة. ولكنه لم ينقطع عن جو المثقفين والعلماء والشعراء الكبار مثل "جكرخوين" و "قدري جان" و "حسن هشيار" و "نورالدين ظاظا" وبمخالطتهم ازدادت معارفه وصقلت قريحته وتفتق ذهنه وتأهّل ليكون شاعراً فيما بعد، فقد أغرم بالشعر وتمكن من قلبه عشق القريض. ومع هؤلاء وجد لنفسه موئلاً ومكاناً في جمعية "خويبون" فقد كان وفياً ومخلصاً لوطنه، محباً لبني قومه، وكان الى جانب ما ينظم من الشعر وما يكتب من النثر يزاول عمله السياسي ويواظب عليه.

أعتقل في عام ١٩٥٢م، واحتجزت السلطات الأمنية أحد دواوينه الذي كان لا يزال مخطوطاً وأتلفته، فكان ذلك سبباً لضياع كثير من شعره المعروف بأناقته وترفه.
وبعد خروجه من السجن قصد عشائر "جبور" العربية واحتمى بها ومكث بين ظهرانيها أمداً طويلاً. وفي عام ١٩٧٣م، توجه الى مدينة الحسكة، واستقر هناك حتى وافته المنية في يوم السبت الواقع في الثالث والعشرين من شهر آذار عام اثنين والفين رحل الى الملأ الأعلى، ودفن جثمانه الطاهر في قرية "كر كفتار" في محافظة الحسكة.

اعماله المنشورة:

١-**خلات** ديوان شعر- قدم له دلاور زنكي- من إصدارات بيروت- لبنان سنة١٩٨٤م. وأعيدت طباعته عام ١٩٩٠م في السويد. نقله الى العربية الشيخ توفيق الحسيني.

٢-**زوزان** ديوان شعر- قدم له دلاور زنكي. من إصدارات بيروت -لبنان سنة١٩٩٠م.

٣-**جودي** ديوان شعر قدم له دلاور زنكي. من إصدارات بيروت -لبنان سنة١٩٩٨م.

٤-**طرائف كردية** جزء الأول- ترجمة الشيخ توفيق الحسيني الى العربية- دمشق ١٩٩٦م.

٥-**المولد الكردي..** قدم له دلاور زنكي. من إصدارات بيروت- لبنان سنة ٢٠٠٦م. نشر في موقع "تيريز نامه".

٦-**طرائف كردية** جزء الثاني- قدم له دلاور زنكي. من إصدارات بيروت -لبنان سنة ٢٠٠٩م. نشر في موقع "تيريز".

أعمال لم تنشر:

-"عدد من قصائد غير منشورة".

دلاور زنكي

طرائف كردية

الجزء الأول

موطن الآباء والأجداد

"زركان" منطقة شاسعة مترامية الأطراف تقع في محافظة الحسكة تمتد بين مدينتي الحسكة ورأس العين[1] تخترقها ثلاثة أنهار ذات مياه عذبة، وفي يوم من الأيام كانت تلك المنطقة بمثابة مصايف لعشائر الزركان ولاسيما للرحل من أفراد العشائر. وما تزال المنطقة تعرف باسم هذه العشيرة "زركان". وكان جبل "عبدالعزيز" مرابع لأولئك الرحل يؤمونه أيام الربيع وفي جبل عبدالعزيز أماكن ما تزال تعرف بتسميات أطلقها عليها الزركانيون.

في تلك العهود –كما يروى- تآخى رجل زركاني وآخر سنجاري "يزيدي" وكانت بينهما صداقة حميمة وأواصر من المحبة والود، وفي يوم من الأيام زار السنجاري صديقه الزركاني فاحتفى به وأكرم وفادته وأحسن قراه، وقدم له خروفاً جسداً وبعد أن تناول غداءه أحضر له المضيف صحن بطم "ليس في جبل عبدالعزيز من الأشجار المثمرة سوى أشجار البطم" فتناول الضيف حبات من البطم واكتفى بالقليل منها ولما تأهب الضيف للرحيل قال للزركاني: كم أتمنى أن تزورني في سنجار وتنزل علي ضيفاً أياماً.

مرت أيام فقصد الزركاني صديقه السنجاري فرحب به أيما ترحيب وأولم له وليمة فاخرة تليق بالصديق الضيف وبعد الانتهاء من تناول طعام الوليمة قدم له المضيف صحناً فيه حبات من التين السنجاري المعروف بنكهته الشهية ومذاقه الطيب وبعد أن نال الضيف منه وطراً. سأله أيهما أكثر رونقاً وأطيب مذاقاً: التين في جبل سنجار أم البطم في جبل عبدالعزيز فرد الزركاني بعفوية:

في موطن الآباء والأجداد يكون البطم أشهى وألذ من التين.

---

[1] - الصواب: رأس عين.

النجار

يقال أن أمير العشائر الملية كان يطوف في مدينة "ماردين" ومعه مستشاره فلفت نظر الأمير بناء شامخ تقف على شرفة من شرفاته امرأة رائعة الحسن، فائقة الجمال، تأخذ بفتنتها الألباب وتسبي بسحرها القلوب، فسأل الأمير: ترى لمن يكون هذا القصر؟!. وأخيراً قيل للأمير: إنه لرجل نجار. وحين عاد الأمير إلى قصره وكان قد أضمر للنجار مكيدة فأرسل في طلبه من يحضره.. وحين مثل النجار بين يدي الأمير قال له:

-إننا بحاجة إلى ثلاثة "جوالق" من نشارة الخشب وعليك إحضارها وإني أمهلك ثلاثة أيام، فها نحن في فصل الشتاء والأرض موحلة ولا بد من نثر النشارة على الأرض في ميادين الطراد تحت سنابك الخيل وجياد الجند في أيام الاستعراض فإذا تأخرت أو تقاعست عن تلبية طلبنا ضمن هذه المدة أعدمناك بجز رقبتك، فقال النجار مذعوراً:

-والله يا سيدي الأمير لو أنني دأبت على العمل ليلاً نهاراً طوال عامين كاملين ما تهيأ لي مثل هذه الكمية التي تأمرون بها. قال الأمير دون مبالاة أو اكتراث بتوسل النجار:

-ذلك لا يهمنا.. عليك بتأمينها وإلا أعدمناك.

عاد النجار إلى داره كسير القلب وعلامات الخوف بادية على سحنته فدنت منه زوجته وجلست إزاءه وقرأت أمارات الأسى والرعب على وجهه وقالت له:

-ما لي أراك اليوم مهموماً، مغتم الفؤاد؟!. اضطر النجار أن يخبر زوجته بكل ما جرى له مع الأمير. فقالت زوجته تواسيه وتخفف عن بلواه:

-أرح بالك أيها النجار، ودع الأمور تجر كما شاءت المقادير فأبواب الفرج كثيرة لا تحصى. ماذا لو أتوك غداً لتصنع للأمير تابوتاً؟ لقد قال أسلافنا: المرء يدبر الأمور والله يقدرها.

في الصباح الباكر سمع النجار طرقات عنيفة على الباب فنهض من فراشه خائفاً مرتعباً وترتعد فرائصه وقال لزوجته: ها هم قد جاؤوا لإلقاء القبض علي، وحين أطلت الزوجة برأسها من الباب شاهدت ثلاثة جنود يمتطون الجياد وفي أيديهم حبل "كان الحبل بطول التابوت المطلوب". قال الجنود لزوجة النجار:

-لقد مات الأمير ليلة البارحة. فليأت النجار في الحال ليصنع للأمير تابوتاً.

يخال السيئون أن الربيع غير آت

كان بين فتى وفتاة حب جارف وعشق محتدم وكان الفتى كلما رام من فتاته قبلة خضعت له وأسلمت له القياد وأذن له بتقبيلها وهي راضية النفس، ظل هذا العشق يترعرع حتى أتى على الناس جدب وقحط فأمحل الناس وخوت مستودعات العلف والتبن وباتوا يخشون أن تنفق دوابهم وسوائمهم.

وكان لعائلة الفتى مستودع كبير للتبن خزن فيه علف كثير إلى حين الحاجة إليه، وفي أحد الأيام شرع الفتى وأهله في إزاحة التربة والقش عن التبن وعلم أهالي القرية بذلك فقال والد الفتاة لابنته:

-خذي يا أبنتي سلة واذهبي إلى البيت الفلاني واجلبي لسوائمنا بعض التبن.

وفي غاية من اللهفة والعجل نهضت الفتاة وحملت سلتها واتجهت إلى حيث مستودع التبن "كادين= kadin" فرأت فتاها قريباً عن كثب من الـ "كادين" فقالت له:

-حبذا لو ملأت هذه السلة تبناً لسوائمنا فقال الفتى في قحة:

-امنحيني قبلة وسوف أعطيك ملء سلتك تبناً. فردت عليه الفتاة غاضبة:

-ترى ألم أكن أمنحك القبل كلما شئت واشتهيت؟ يلوح لي اليوم أن سلة التبن صارت ثمناً للقبلة، والله ما أخذت تبنك، وحرام علي منذ اليوم حبك أو صداقتك. وعادت الفتاة خاوية الوفاض فسألها والدها:

-لماذا عدت صفر اليدين؟!. قالت: لقد رفضوا أن يعطوني وبعد أيام انقشعت الغيوم وجاء الربيع واخضرت الأرض بالأعشاب، والكلأ. فامتلأت بطون السوائم والماشية وارتوت، وخرج القرويون إلى المرابع ونصبوا خيامهم في

مواقع الرعي وفي يوم من الأيام مر الفتى بخيمة أهل الفتاة وهو يرتدي جلباباً أبيض ويسير بخيلاء وكانت الفتاة جالسة أمام الخباء وبيدها مغزل تغزل به خيوطاً من الصوف وفي تلك اللحظة مرت من أمامها دجاجة فقالت بصوت جهوري كي يسمع الفتى وهي تخاطب الدجاجة:

-يخال السيئون أن الربيع غير آت

وقد جعلوا القبلة ثمن سلة من التبن.

ليث الزوزان

أتى على الزوزان عام قحط وإمحال فانحدر الرعاة بسوائم "فرحو" ولد عزير آغا إلى سهول "ماردين".

وكان الآغا علي علي سيد العشائر الملية قد استقر إلى جانب جبل "كوكب ملان" وإذ مرت قافلة "فرحو" بمواقع الآغا علي قال "فرحو" لبعض رجاله: اذهبوا واجلبوا لنا خرافاً من تلك القطعان. فشن الرجال حملة شعواء على الخراف وأخذ كل منهم برقبة خروف وإذ رآهم كبير الرعاة هتف بهم قائلاً: إلى أين تذهبون بهذه الحملان؟! قال الرجال الغزاة نذهب بها إلى علي علي. فقال كبير الرعاة:

-ألا تسألون لمن يكون هذا القطيع؟!.

قال الرجال:

-لمن يكون؟!.

فقال كبير الرعاة:

-إنه لـ"فرحو" ولد عزير آغا. وما إن سمعوا ذلك حتى أطلق الرجال الخراف ودعوها وشأنها. فتهللت أسارير كبير الرعاة وانشرحت نفسه وقال في نفسه:

-فديتك يا سيدي... تزأر في الزوزان وفي سهول "ماردين" تخشى الذئاب صولتك.

مدينة "هسكيف"

تقع مدينة "هسكيف" أو "حسن كيف" الشهيرة في الأراضي الشمالية من كردستان وفي هذه المدينة قلعة حصينة وفي القلعة زنزانة للقتلة والخارجين على القانون.

في حقبة من الزمن تمرد رجل يدعى "إحسان كيفي" على الدولة العثمانية وأعلن عليها الخصومة والعداء، إلا أن الباشا تمكن من إلقاء القبض عليه وأسره. ثم زجه في زنزانة تلك القلعة المشيدة على هضبة شامخة تطل على شط الجزيرة الذي ينساب أسفل الهضبة وبعد فترة من الزمن أعلنت السلطات العثمانية أن "إحسان كيفي" سيعدم بعد ثلاثة أشهر، فأرسل "إحسان كيفي" من يخبر أهليه وذوي قرابته أن يولوا العناية بحصانه وأن يذبحوا خروفاً كلما مر شهر ويرسلوا رأسه إلى زنزانة "إحسان كيفي"، لهذا فعليهم أن يقوموا بتربية ثلاثة خراف على أن يكون علف الحصان وهذه الخراف لب الجوز والبلوط وهكذا تعهد أهله بتنفيذ رغبته، وبعد مرور شهر ذبحوا خروفاً وأرسلوا رأسه إلى القلعة فكسر "إحسان كيفي" الجمجمة فرأى الدماغ قد لدن ومرن وخرج عن هيئته الأولى وفي الشهر الثاني ذبحوا خروفاً آخر وأرسلوا رأسه إلى القلعة فاختبر "إحسان كيفي" المخ فرآه قد ماع قليلاً وصار كاللبن المخيض وعند انقضاء الشهر الثالث ذبحوا الخروف الثالث وأرسلوا رأسه إلى الزنزانة فكسره "إحسان كيفي" ورأى الدماغ قد رق واستحال الى سائل كالماء فتأكد له أن حصانه بعد مرور هذه الأشهر الثلاثة وقد نال منه البطر وطول الاستجمام والراحة قد فقد كل إحساس بالهيبة والرهبة والخوف ومن السهولة بمكان إقحامه في أي هول من الأهوال دون أن يتردد أو يكبح جماحه، وبعد انقضاء زمن في الأسر جاؤوا به إلى المشنقة وقالوا له:ماذا تتمنى؟. فقال لهم: إن كان الأمر كذلك فأمنيتي أن تحضروا لي حصاني لأمتطيه وأعدوا به قليلاً فإني

بشوق إلى ذلك وليس لي أمنية سواها، فأحضروا له الحصان وسرعان ما اعتلى متنه فجرى به الحصان وأرخى له الزمام وجال هنا وهناك حتى أشرف على الهاوية المشرفة على الشط فهمز حصانه همزاً عنيفاً فطار به الحصان لحظات في الفضاء.. قال الذين شاهدوا الحصان وهو يهوي إلى النهر أنه كان يحرك قوائمه الأربع كأنما يستجمع قواه ويفرغ كل ما لديه من عنفوان الجري ليحلق. وحين بلغ الأرض وقعت قائمتاه الخلفيتان على اليابسة والأماميتان في مياه النهر.. وا أسفاه... لقد قصم ظهر الحصان... لكنه أنقذ فارسه.

"فرحو" ابن عزير آغا

سئل "فرحو" مرة –عما إذا رأى أو سمع امرءاً أشجع منه وأشد بأساً. فقال "فرحو": بلى... لقد شاهدت وعاينت من يفوقني جرأة وبسالة فبينما كنت وبعضاً من رجالي فوق قمة أحد الجبال شاهدنا امرأة في يدها صرة ثياب تتجه نحونا وحين بلغت موضع إقامتنا قالت: يا إخوتي... إني امرأة قد حدث خلاف بيني وبين زوجي فحردت ومنازل أهلي بعيدة ولا أخالني بالغة موطن الأهل قبل حلول الليل، وإني لراغبة في المكوث بين ظهرانيكم هذه الليلة حتى ينبلج وجه النهار. قلت لها: لا ضير عليك يا ابنتي... . وفي المساء حين أزف موعد النوم دعوتها لتنام بالقرب من فراشي ووضعت السيف حداً بيني وبينها واستسلمنا للنوم. وفي الهزيع الأخير استيقظنا على صراخ المرأة... كان قد اختطفها سبع من السباع أو وحش ضار من الوحوش، فطاردناه قليلاً، لكن الليل كان حالكاً فيئسنا من معاينته وملاحقته وعدنا أدراجنا نعض بنان الندم، في تلك الليلة أحسسنا بالخجل من أنفسنا وذقنا مرارة الخزي والهوان، وفي الصباح مر بنا رجل وسألنا قائلاً: أما مرت بكم امرأة كانت قد حردت؟. قلنا: بلى. لقد باتت الليل ها هنا ولكن... وا أسفاه.. ماذا يمكننا أن نقوله لك... يا لخزينا... خطفها من بيننا سبع فطاردناه ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، ولكن ظلمة الليل حالت بيننا وبين اللحاق به، ثم نهضت وذهبت بالرجل إلى آثار براثن الوحش فمضى الرجل متتبعاً آثار الحيوان وما لبث أن عاد إلينا بعد ساعة وفي يده رأس حيوان متوحش ثم تجاوزنا دون أن يلتفت إلينا فهتفنا به وقلنا صرة المرأة موجودة هنا فهلا أخذتها؟ فقال دون أن ينظر إلينا: مباركة لكم تلك الصرة، وحري بكم أن ترتدوا ثيابها وتعتصبوا بمناديلها وإلا كيف استطاع هذا الوحش أن يختطف من بينكم امرأة وأنتم تنظرون صاغرين مدحورين.

ذاك هو الرجل الذي كان أكثر مني بسالة.

أمير هكاري

يقال أن أمير "هكاري" خرج مرة مع وزيره طلباً للنزهة، وقد امتطيا جواديهما وتوغلا بين الأدغال والبساتين والكروم وسارا مسافات طويلة حتى نال منهما التعب فلجآ إلى جذع شجرة ينشدان الراحة وبعد قليل دب النعاس إلى عيني الأمير ثم استغرق في النوم وكان قد توسد فخذ الوزير ولم تمض إلا برهة وجيزة حتى شاهد الوزير ثعباناً هائلاً يتجه إليهما فسل الوزير خنجره من غمده ليرهب به الثعبان ويدافع عن نفسه إن اقتضت الضرورة ثم اختفى الثعبان بين أشجار الغابة وفي الوقت الذي كان الوزير يسعى إلى إغماد خنجره أفاق الأمير من غفوته وشاهد الخنجر مشهراً بيد الوزير فساء ظنه بالوزير وخيل إليه أنه كان ينوي الفتك به غدراً فقال للوزير: ماذا يدعوك إلى اغتيالي؟!.

حار الوزير ولم يدر بم يجيب فسكت على مضض وأخيراً قال له: كما ترى.

يعلم الوزير يقيناً أنه مهما حاول تبرير موقفه ومهما حاول أن يبرئ نفسه من التهمة الموجهة إليه فلن يستطيع إقناع الأمير لأن الثعبان قد اختفى والخنجر ما زال مصلتاً وهما سببان قويان لإثارة كل شكوك الأمير، وبعد أن عادا أدراجهما قال له الأمير: ما رأيت منك يحتم علىَّ قتلك ولكن نفسي لا تطيب بذلك لأنني كنت أراك دائماً حكيماً عظيماً ولك عندي أياد بيضاء ولست براغب في بقائك ها هنا بعد الآن. فدع هذه البلاد وشأنها وجد لنفسك مكاناً آخر. لم يجد الوزير بدأ من مغادرة البلاد وقصد بلاداً غريبة ونائية، وفي إحدى القرى وجد لنفسه عملاً في مطحنة القرية. أما الأمير فاتخذ وزيراً آخر ليستشيره كلما تأزمت الأمور وأعضلت المسائل إلا أنه لم يكن راضياً عن هذا الوزير كل الرضى وما راقه الوزير الجديد لأنه لم يستطع أن يملأ الفراغ الذي تركه الوزير المهاجر فكان يناجي نفسه: ليتني أعرف لم فعل وزيري ما فعل ولماذا

قصد قتلي؟!. وإذ ضاق بهذه الحال أرسل في طلب رجل معروف بالحكمة والمعرفة ولما حضر الرجل الحكيم قال له الأمير: سنأتيك بحمل وسنزنه في البدء ثم نجعله في عهدتك مدى عام كامل وغب مرور العام سنزنه مرة أخرى فإن ألفيناه نقص وزناً أو زاد أعدمناك بجز رقبتك، فخشي الرجل الحكيم على نفسه واضطرب لأنه يعلم أن الأمير إذا قال فعل فأخذ الحمل وشرع يسائل الناس هنا وهناك عله يجد لمعضلته حلاً يرضي الأمير وينقذه هو ولكنه لم يجد بغيته لدى أي من الناس فجد في البحث وساح في البلاد وأخيراً ساقته المقادير إلى تلك القرية التي يقيم فيها الوزير الذي أصبح طحاناً فنال منه الجهد والنصب وأضناه طول التجوال فلاذ بظل جدار ينشد لديه بعض الراحة والاستجمام لفرط ما لقي من التعب، وبعد أن أنهى الوزير الطحان أعماله خرج من المطحنة متوجهاً إلى داره رأى رجلاً غريباً قد أوى إلى جدار فدنا منه ثم دعاه إلى داره وقدم له ما يقدم للضيف من طعام وشراب ثم قال له: أراك حائراً في أمرك لا يكاد يبين لك منهج أو سبيل. أجاب الرجل الضيف الحكيم: إني "حقاً" غريب عن هذه البلاد وقادم من بلاد نائية من مدينة أمير "هكار" وقد جرى لي مع الأمير أمر عجب. وحدثه بإسهاب عن رغبة الأمير فتنهد الوزير الطحان وتحسر وقال له: عد إلى دارك وائت بجرو من جراء الذئاب واربطه إزاء الحمل فإنه مهما تناول علفاً فلن يزيده وزناً وسيظل كما هو لأنه سينظر إلى عدوه كل حين متربصاً به.

ولم يكن مطلب الأمير أمراً غامضاً فقد أدرك الوزير الطحان أن الأمير يحاول العثور على الوزير المهاجر.

ولما بلغ الحكيم داره اقتنى جرو ذئب وربطه إزاء الحمل وبعدما انصرم الحول أخذ الحمل إلى الأمير فأخضع للميزان وتبين أن وزنه لم يتغير ولم يتبدل ولم يزد وزناً ولم ينقص فقال له الأمير: عليك أن تصدقني القول، من هذا الذي علمك هذه الحيلة؟!. روى له الحكيم حكايته مع الطحان ثم وصف للأمير حاله وهيئته فأدرك الأمير أنه وقع على وزيره المنفي وأنه قد عثر على ضالته

فجمع بعض الفرسان واتجه بهم إلى حيث يقيم وزيره السابق وفي الطريق أعاد الأمير عليه السؤال: لم أقدمت على ما أقدمت عليه؟. حدثه الوزير بالأمر كله: كيف رأى الثعبان وكيف أرهبه بالخنجر حتى لاذ بالفرار واختفى بين أشجار الغابة.. وأنه فعل ذلك كي لا يوقظ الأمير. وفي تلك الساعة كنت في حالة نفسية لا تستطيع معها تصديقي مهما حاولت تبرئة ساحتي وأغلب الظن أنك الآن على يقين بأنني لم أقل لك سوى الحقيقة.

الحية والقبة البيضاء

قيل أن رجلاً كان يقتني كرمة غناء وكانت حية قد اتخذت لها جحراً تحت إحدى شجيرات الكروم فنشأت بين صاحب البستان وبين الحية صداقة ووداد وقام بينهما حب ووئام لا يؤذي أحدهما الآخر ويتبادلان المنفعة فالرجل حريص على سلامتها والحية تحس بالأمان والطمأنينة.

مرت الأيام رتيبة على هذا المنوال فهو مأمون الجانب وهي مصدر خير وعطاء إذ تضع الحية كل صباح قطعة ذهبية في الطريق الذي يسلكه الرجل، لكنه –ذات يوم- خامره الطمع وسولت له نفسه السوء فقال في نفسه: لو لم يكن في جحر الحية كنز عظيم لما استطاعت الحية أن تضع في طريقي ديناراً ذهبياً.. وما حاجة الأفاعي إلى الذهب والأموال؟!. حري بي أن أحرز الكنز برمته، وأخيراً عقد العزم على الغدر بجارته.

وفي الصباح التالي شحذ فأسه وأخفاها تحت ردائه واتجه إلى البستان بفأسه وبكامل طمعه وغدره ووصل إلى المكان الذي تعودت الأفعى أن تلقى فيه الدينار واختبأ وراء جذع شجرة حتى إذا أقبلت الأفعى وطرحت الدينار وكرت راجعة إلى جحرها انقض عليها وهوى عليها بالفأس لكن الفأس أخطأت الحية ولم تصب منها مقتلاً بل أصابتها في ذيلها وبترت منه مقدار شبر واستطاعت الحية أن تنساب إلى جحرها ثم انقطعت عن عادتها.

وفي صبيحة أحد الأيام ذهب ابن الرجل إلى البستان فاغتنمت الحية غفلة منه ولدغته في كاحله وأردته قتيلاً في الحال.

لدى الظهيرة لم يعد الابن إلى داره فافتقده أبوه وكان الولد وحيد أبويه فبحثا عنه هنا وهناك، لكنهما لم يعثرا له على أثر إلا أن بعض الجيران قالوا لهما: لقد شاهدناه يدخل البستان ولعلكما واجداه هناك.

فقصد الوالدان الكرمة وهناك وجداه جثة هامدة ووجدا أثر اللدغة في كاحله، فحفر الرجل وزوجته في بقعة من البستان ودفناه فيها فلذة كبدهما، ثم شيدا فوق القبر قبة وطلياها بالبياض. مرت الأيام وتحركت أشجان الرجل الثاكل وتذكر وهو يسير الهوينى بين الأشجار ما جرى له مع الأفعى ولما اقترب من مكمن الحية هتف بها قائلاً:

-أيتها الأفعى... أيتها الصديقة القديمة تعالي إلي لنجدد عهد المودة والحب ولنعد إلى سيرتنا الأولى. فسمع الرجل هاتفاً يقول:

-هيهات هيهات... فهذه هي القبة البيضاء ماثلة، وهذا هو أثر الفأس في الذيل المبتور.

"بلو"

"ديرونا قلنكا" اسم لقرية من قرى "أشيتان" الواقعة على تخوم مدينة القامشلي وكان يدير شؤونها المختار "بلو" وكان رجلاً شهماً وكريماً عرف بجوده وإغاثته للملهوف حتى صار قبلة للمعسرين وملاذاً للمعوزين ولمن ألمت بهم نوائب الدهر والنكبات ولا سيما لأولئك الذين فروا من قسوة ذاك الرجل العاتي "سعدون إي سور" وبطشه فكانوا يؤمون هذه القرية ويلوذون بأكناف العمدة "بلو" ويجدون لديه خلاصهم وكان "سعدون إي سور" "سعدون الأحمر" سيد قرية "جال" يسمع بأنباء جود "بلو" وكرمه فشغف به وأعجب بأريحته وتمنى أن يلتقي بهذا الرجل الفذ "كان بلو رجلاً قميئاً زري الهيئة على وجهه آثار للجدري" فجمع ذات يوم خمسة فرسان من رجاله وتوجه بهم إلى قرية "ديرونا قلنكا" ولما وصلوا إلى القرية هرع الرجال إلى استقبالهم وإيواء جيادهم في الاصطبلات وفرشت للرجال البسط والوسائد الوثيرة وقدم لهم الطعام والشراب.

وكان "بلو" يغدو ويروح بين الرجال ويقوم على خدمة ضيوفه بنفسه و"سعدون الأحمر" لا يعرفه فقال وقد طال انتظاره لرؤية مضيفه فتوجه بالكلام إلى "بلو" وقال له:

-حبذا لو حضر "بلو" فإني في لهفة إلى رؤيته.

فقال "بلو": يا سعدون إنما أنا هو "بلو".

فأمعن "سعدون الأحمر" النظر في "بلو" فأنكر هيئته واستصغره وقال له:

- ليتني لم آت إلى هنا وليتني ما شاهدتك ولا التقيت بك واكتفيت بأخبارك.
فلم يحر "بلو" جواباً ولزم السكوت.

وفي المساء أعد "بلو" للضيوف طعام العشاء ثم قام وجمع أولئك الرجال الفارين من بطش "سعدون الأحمر" وقال لهم:

-إني أريدكم جميعاً أن تحضروا إلى "الديوان" ويسلم الواحد تلو الآخر على سعدون الأحمر ويحييه. وجلسوا جميعاً في نسق واحد وكان له ما أراد فسأل سعدون آغا قائلاً:

-من هم هؤلاء الرجال جميعاً لعلهم يعرفونني؟ فقال "بلو":

-أجل يا سعدون آغا... جميعهم يعرفونك، وقد فروا لسبب جورك وعتوك... إنهم أبناء عشيرتك جاؤوا لائذين بأكناف "بلو"... بلو الرجل الذي تئبو عنه أنظارك وتقتحمه عيناك ولا يروقك مرآه.

"تحتا بَش"

"كرك" قرية منعزلة عن قرى ولاية ماردين، تقع في كردستان الشمالية وتربض هذه القرية على أكتاف جبل "أومريان" وجميع سكانها فلاحون لا يكادون يحصلون على كفاف يومهم إلا بشق الأنفس، وفي القرية صخرة واسعة ومنبسطة بالقرب من أحد الوديان وبالقرب من الوادي يجري نهر عذب الماء، وحين يجهد العمل هؤلاء الفلاحين يتركون محاريثهم على الأرض ويصعدون تلك الصخرة لينالوا حاجتهم من الماء ثم يتمددون على الصخرة طلباً للراحة، ويقال أن فلاحاً من تلك القرية ذهب إلى دمشق وهناك تعرف إلى فتاة فخطبها من أهلها وتزوجها واستقر في تلك المدينة الرائعة ولكنه كان دائم الذكر لقريته فيقول على مسامع زوجته... "آه.. تحتا بَش" مر العام والعامان وزوجته تسمع منه:"آه... تحتا بَش" فتقول له الزوجة: ليتنا نستطيع زيارة بلدك "تحتا بَش" حتى أراها بعيني هاتين. فلا بد من أن يكون موطنك هذا خلاباً...

وفي يوم من الأيام استعدا للسفر وأخذا للسفر عدته وغادرا دمشق وقصدوا قرية "كرك" وإذ وصلا إلى القرية توجه بزوجته إلى تلك الصخرة الجرداء فتمدد عليها وأبدى عن فرحه وابتهاجه فقالت زوجته:

-أهذه هي "تحتا بَش" التي كنت تلهج بها؟!.

قال الفتى: أجل هذه هي قرية "كرك" وهذه هي "تحتا بَش" فردت الزوجة مستاءة: إنها مجرد صخرة قاحلة جرداء... فأية منفعة منها وأية روعة لها؟!!.

لقد كنت أظن أن "كرك" ساحرة كبلاد الشام. فرد الزوج:

-أجل يا سيدتي.. لقد قال أوائلنا:

"الشام عذبة كالسكر ولكن الوطن أحلى وأعذب".

"المقبرة"

مر رجل بامرأة تنوح وتندب بجانب قبر فسألها من يكون الميت بالنسبة لها فقالت المرأة: إنه زوجي. فسألها الرجل: وكيف كان زوجك من بين الرجال؟ قالت: رحمه الله لم يكن يعني بشؤون الآخرين، خيرهم أو شرهم ولا يتدخل في أمور الناس. قال الرجل: تباً له. إن المرء إذا لم يأت بخير أو شر فسواء حياته ومماته بل مماته خير من حياته.

الفتوى

قيل أن رجلاً "برازياً" خرج صباحاً من داره حاملاً هراوته واتجه إلى دار "الملا" وقال له: سيدي الملا... ما جئتك إلا لأستفتيك في أمر عسر علي فهمه، قال ذلك وهو يلوح بهراوته الضخمة فوق رأس الملا فأجاب الملا:

-أخبرني عن معضلتك؟.

قال البرازي:

-لي أغنام وسوائم وقد حان وقت المخيض... ولم تكن لي ممخضة وكان لنا كلب جسد فذبحته وسلخت جلده ودبغت الجلد واتخذته ممخضة ونحن نمخض فيها ألباننا فهل هذه الممخضة طاهرة أم نجسة؟.

حار الملا قليلاً وتلعثم وجمجم وهو يرمق الهراوة تخفق فوق رأسه وفكر ملياً: فإن أجابه بأن الممخضة نجسة لأن الكلب نجس وجلده أيضاً نجس لا يطهر بالدباغة انهالت على رأسه الهراوة فقال "الملا" وقد استحوذ عليه الذعر:

-إنها طاهرة ولا حرج عليك من استعمالها.

فنهض الرجل فرحاً وشكره وقال:

-غداً سأكافئك بزبدة الصباح.

الشيخ "زنكي"

يقال أنه كان لرجلين من الدراويش حمار يركبانه متناوبين أو مترادفين في أسفارهما يطوفان به على الناس يكسبان من وراء ذلك قوتهما. وفي يوم من الأيام وعلى مفترق بعض الطرق نغق الحمار فساءت حالهما ولم يدريا ماذا يجب أن يفعلاه بعد النائبة التي ألمت بهما وها هما قد خسرا مطيتهما. قال أحدهما للآخر وقد تفتق ذهنه عن حيلة ماكرة: فلنحفرها هنا ونجعل الحفرة رمساً للحمار وندفنه ولنبن فوقه قبة فإذا تم لنا ذلك أقمنا بجانبه بعد أن نأتي بخابية للماء يستقي منها المارة وأبناء السبيل وسوف نذيع في العابرين أن كل سقيم أو مفلوج سيجد شفاءه لو أقام قريباً من هذا الضريح لأن صاحبه كان تقياً صالحاً. فاقتنع رفيقه بكلامه ونفذا ما اتفقا عليه فشيدا قبة وجاءا بخابية للماء ولم يمض إلا وقت قصير حتى صار المكان مزاراً للمرضى والمعتلين وساد هذا الاعتقاد بين الناس فكانوا كلما أتوا للزيارة نفحوا هذين الرجلين مالاً. وكان كل منهما يقوم بقبض مبالغ الهبات طيلة أيام أسبوع كامل فإذا مر الأسبوع جاء الدور على الآخر غير أن أحدهما كان يرتاب في الآخر ويسيء به الظن ويشك في أمانته ويتهمه بالاختلاس فقال له: لماذا نكون غلالك من التبرعات قليلة بينما حصيلتي من المال وفيرة في المدة نفسها فقال له المتهم: وهل تشك في صدقي وإخلاصي فقال له الأول: أجل... وإني أتمنى أن تقسم لي بأغلظ الإيمان فقال:

-أقسم بضريح الشيخ "زنكي" ما أخفيت عنك مالاً ولا فكرت يوماً في سرقة أموالك. فقال الأول مستنكراً:

-وبي أيضاً تستهزئ أيها الخبيث... أليس الضريح ضريح حمارنا؟؟.

محصل ضرائب الحمير

كانت الضرائب تجبى عن كل شيء في عهد الحكم العثماني، وكانت الجباية قائمة على قدم وساق وكانت رؤوس الحمير مشمولة بقانون المكوس العثماني وكان الجباة يجوسون في القرى والأرياف لتحصيل هذه المكوس وذات يوم دخل أحد أولئك الجباة قرية من القرى "الأومرية" وطفق يبحث عن الحمير، فلا يدع بيتاً أو كوخاً أو ساحة دار أو أية حظيرة دون أن يلقي عليها نظرة واستغرب أن لا يجد أثراً لحمار حين دخل فسحة إحدى الدور. لأن صاحب الدار كان قد لجأ إلى حيلة ذكية فربط أرجل الحمار وأضجعه على فراش وغطاه بلحاف في داخل بهو الدار.

إلا أن الجابي انتبه إلى أن أحداً قد سجى في فراش وقت الضحى فسأل صاحب الدار:

-من ذاك الراقد تحت اللحاف؟. أجابه رب الدار:

- إنه والدي المريض.

فتقدم منه الجابي ورفع طرف اللحاف وقال له:

-كيف حالك يا عماه؟ عسى أن تكون بخير.

وما إن نطق بهذه الكلمات حتى رفع الحمار رأسه وحرك أذنيه... فالتفت الجابي إلى صاحبه ووبخه قائلاً:

-لماذا فعلت ذلك؟

فقال: سيدي... إنني رجل بائس وفقير ولا قدرة على أداء مبالغ المكوس والضرائب ولهذا فقد أخفيته تحت اللحاف تهرباً من الضريبة، ولكن ها قد افتضح أمري وبانت حيلتي. فقال المحصل:

-حسناً... ما دام هذا الحمار قد صار لك أباً وصار لي عماً فقد عفوت عنك ولن أطالبك بشيء.

رداء الملا

حين حل شهر رمضان، شرع القرويون يحضرون مجلس الملا ويلتفون به يصيخون السمع إلى مواعظه. وذات يوم قال الملا وهو يعظهم: من أعطى مسكيناً ثوباً من ثيابه كسي يوم القيامة بعشرة من ثياب الجنة. وكان الملا قد اشترى قماشاً وخاطه لنفسه جلباباً وسلمه لابنته لتحتفظ به إلى عشية يوم العيد وكانت الابنة قد سمعت والدها يقول مراراً: من كسا فقيراً ثوباً كسي يوم القيامة بعشرة من ثياب الجنة وفي يوم من أيام رمضان وقف لدى الباب متسول يرتدي أسمالاً وأطماراً بالية فأشفقت عليه الفتاة وقدمت له ثوب والدها الجديد، متأثرة بموعظة والدها. وفي عشية يوم العيد قال الملا لابنته:

-اذهبي يا ابنتي واحضري لي ثوبي الجديد. فقالت الابنة:

-لقد أعطيت ثوبك لرجل بائس وأرجو أن يكون نصيبك عشرة أثواب من ثياب الجنة. فقال الملا حانقاً وكاد أن يجن جنونه:

-يا ابنة الكلب لقد كنت أقصد ثيابهم لا ثيابي.

بدرخان بك

كان بدرخان بك من عظماء رجال الأكراد، صاحب القلعة البلقاء "برجا بلك"، وكانت مدينة "الجزيرة" عاصمة إمارته "بوتان"، وكان بدرخان بك صاحب كنوز ودفائن من مجوهرات وذهب ونفائس الأموال وكان من دأبه كلما مرت ثلاثة أشهر أن يأتي ببعض الجند فيفتحوا باب تلك الخزينة ورش المجوهرات وقطع الذهب ببعض المواد الكيميائية المانعة للصدأ، وكان الجند يحركون ركام الذهب ويقلبونه بواسطة "الرفوش". وفي إحدى المناسبات وبينما كان الرجال يقومون بعملهم ويؤدون المهمة المعتادة قال أحدهم: ليت الأمير بدرخان بك سمح لي بأخذ كمية من الذهب ملء هذا الرفش. فضج الجنود بالضحك وما فتئ أن وصل الخبر إلى الأمير بدرخان فقال لأحد جنوده أخبروه فقد منحته مطلبه وحين علم العامل أن أمله قد تحقق رقص من الفرح فغرز الرفش في ركام الذهب بطريقة معكوسة فلم يستقر فوق متن الرفش سوى قطعة ذهبية واحدة وإذ علم بدرخان بذلك ضحك وقال:

-إذا لم يمنح الرب امرأ مالاً فماذا يستطيع بدرخان بك أن يفعل من أجله؟.

ابن التاجر

عاش في مدينة "ماردين" رجل تاجر واسع الثراء وكان له ولد وحيد وعندما هرم الرجل ولم يعد قادراً على المثابرة على تعاطي أمور التجارة نادى ولده يوماً وقال له: ولدي... لقد هرمت ولم أعد أستطيع مزاولة التجارة وقد آن لك أن تقوم بأعباء تجارتك وإدارة شؤونها وأن تجد وتكافح ولئن مكثت على هذا الوضع من البطالة والخمول لنفد مالك وآل أمرك إلى الفقر المدقع والبؤس المريع فاقتنع الفتى بكلام والده وأعد من الغد قافلة وجمع حوله رجالاً لهم دراية بصناعة البيع والشراء وتوجه بهم شطر الموصل وفي الليل عرست القافلة في الصحراء بعد أن نصبوا الخيام ليرتاحوا من عناء السفر قليلاً، ليستأنفوا المسير في اليوم التالي ومن بعد ظهر أحد الأيام بعد سير حثيث نصبوا الخيام في أرض فلاة مقفرة كي يستجموا ويرتاحوا بعض الإرتياح، وبينما كان الفتى يجيل الطرف من داخل خبائه في تلك الصحراء الخالية شاهد أسداً يطارد ظبية حتى إذا اقتنصها وأنشب فيها براثنه وافترسها ونهش لحمها أكلها حتى نال ما فيه شبعه ثم ولى الأدبار وكان بالقرب من مكان الفريسة ثعلب جائع عليه أمارات البؤس يختبىء وراء رابية يترصد غيبة الأسد فما أن رآه قد ابتعد حتى جاء وانكفأ على أشلاء الفريسة حتى شبع فتلمظ ورضيت نفسه بهذه الوقعة الباردة. وإذ رأى ابن التاجر ما رأى قال محدثاً نفسه: ما دام رزقك يأتيك أينما كنت وأينما حللت فهذا السعي ليس إلا عبثاً ولا مسوغ لتجشم هذا العناء في الترحال والسفر ولا مغزى له فلماذا لا أتخذ مما عاينت درساً وموعظة؟ وعزم الفتى على العودة وأمر رجال القافلة بالقفول والرجوع من حيث أتت وحين وصل الركب إلى مشارف مدينة "ماردين" علم الوالد بالنبأ فذهل ولما التقى بولده سأله عن سبب عودته فرد قائلاً:

-لقد رأيت في رحلتي عجباً، وحدثه بتفاصيل حادثة الأسد والظبية والثعلب وأردف: لقد أخذت العبرة مما شاهدت، فلم السعي والجهد والجري وراء الرزق؟ فقال الوالد وقد استشاط غضباً وحنقاً:

-تباً لك من جاهل غر. لماذا تتشبه بالثعلب ولا تحاول أن تكون كالأسد الذي ينال رزقه بسعيه ويعطي الآخرين فضل طعامه وترضى أن تكون كهذا الثعلب البائس المتكل على زاد غيره لقد صدق الأوائل إذ قالوا:

- "محال أن يصير الثعلب أسداً".

الملا وديكه الرومي

قال "الملا" لزوجته وكان الوقت شتاء والطقس بارداً والسماء ممطرة:

-اذهبي واذبحي ذلك الديك الرومي ففي مثل هذا الجو لن يطرقنا طارق. قامت الزوجة وامتثلت لأمر الزوج وذبحت الديك ونتفته وطبخته ثم طبخت رزاً مفلفلاً لتقديمه مع لحم الديك وقبيل الغروب همت الزوجة بتقديم طعام العشاء إلى زوجها فوضعت أمامه بعض الصحون باغتهما ضيف قائلاً:

-عمتم مساء. فما كان من المرأة إلا أن رفعت حافة "المركب"[٢] ودست الصحون بخفة تحت "المركب" إلا أن رائحة اللحم المطبوخ والرز المفلفل ملأت خياشيم الضيف فجلس على مضض وبيت في نفسه أمراً. قال الملا لزوجته متخابثاً:

-ماذا أعددت لنا من الطعام هذا المساء؟ قالت ربة البيت وقد أدركت مغزى سؤاله:

-لم أجد شيئاً أطبخه فالمعذرة.

غابت الزوجة بعض الوقت ثم جاءت برغيف من الخبز وكأس من المخيض ووضعتهما أمام الضيف الثقيل.. تناول الضيف لقيمات واكتفى بها وشكر صاحب الدار وزوجته.

في تلك الليلة سهر الجميع لأن الجميع كانوا جائعين.. حتى إذا غلبهم الكرى فرشوا للضيف في مكان قرب "المركب" واستغرق الملا وزوجته في النوم في الطرف الآخر، ولما أيقن الضيف أن مضيفيه لن يستيقظا بسهولة زحف باتجاه

[٢] -سلة كبيرة تصنع من أغصان بعض الشجر توضع تحتها الأطعمة لحفظها.

المركب بهدوء وحذر فرفع واندس تحته ثم انكب على اللحم والرز وشبع حتى التخمة وكان أن قد أتى على اللحم برمته ولم يبق من الرز إلا قليلاً ثم وضع "جاروخ"[٣] الملا على فضلات الرز في الصحن ثم تقهقر إلى فراشه واضطجع وبدأ يسعل وكأن شيئاً لم يكن فاستفاق "الملا" على صوت سعاله وقال له: أيها الضيف العزيز أما زلت مسهداً؟ قال الضيف: -أجل.

تحدثا قليلاً ثم تطرقا إلى مواضيع شتى وسأله الملا: ما إسمك؟. قال الضيف: إن اسمي هو "أوصمان". وتابع الضيف مسائلاً: كم بلغت من السنين؟ قال الملا: إني في الأربعين تقريباً. ثم سأل الملا ضيفه: كم مر من عمرك؟ قال الضيف: لست أدري على وجه الدقة ولكن والدتي كانت تقول رحمها الله ورحم أمواتك بأنني كنت أحبو في العام الذي زحف فيه أوصمان على قلعة "ديك بك" وانتزعها منه ونصب مكانه "جاروخ بك" والياً جديداً على القلعة. فكر الملا طويلاً وقال: قسماً بالمصحف الذي أتلوه لا أعرف شيئاً عن هذا التاريخ الغريب ولا قرأت عنه في كتبي. قال الضيف: ابحث جيداً في صفحات كتبك فلعلك واجده.

في الصباح الباكر غادر الضيف دار الملا ومضى لطيته ونهض الملا لصلاة الفجر ثم قال لزوجته: هيا احضري لي ذلك العشاء فإني أتضور من الجوع.

ذهبت المرأة إلى "المركب" ورفعت حافته فرأت اللحم قد ضاع عن بكرة أبيه. وشاهدت "الجاروخ" يربض فوق صحن الرز فما كان منها إلا أن وضعت الصحن وعليه الجاروخ أمام زوجها وقالت له: تباً لك... تناول طعامك أيها البائس... ألم يخبرك ذاك المأفون بكل التفاصيل؟ لماذا لم تفهم؟.

ولكن ماذا سيقول الملا المسكين وماذا يجب عليه أن يفعل؟ إن الجوع يهد كيانه... فما كان منه سوى أن يتناول خبزاً حافاً ويقضمه في أسى.

---

[٣] - حذاء بدائي من الجلد.

ثعلب سعيدو

قيل أن ثعلباً ألف رجلاً فلاحاً في قرية "كرك" وكان الثعلب قد اعتاد على الدنو من الفلاح وأن يربض قبالته، وحين يشرع الفلاح في تناول طعامه الذي يجلبه إلى الحقل يلقى بنصيب منه إلى صديقه الثعلب فيكتفي الاثنان. تعوّد الفلاح حين ينهي عمله أن يترك السيور الجلدية التي يشد بها المحارث إلى الدابة على الأرض.

ذات صباح رجع الفلاح إلى حقله فرأى الثعلب ينأى عنه ويمعن في الابتعاد وينظر إليه في ريبة وحذر فارتاب الفلاح في أمره وساءل نفسه مستغرباً ماذا دهى الثعلب اليوم؟.

وبعد أن حاول سعيدو شد المحراث إلى الدابة وجد السيور ممزقة وقد ضاع منها شيء كثير. حينذاك أدرك أن الثعلب هو الذي التهم السيور وأدرك سر ابتعاده. فقال سعيدو في أسى ولوعة:

-أيها الماكر المأفون لقد عرفت منذ اللحظة الأولى أنك أتيت أمراً منكراً... فها قد التهمت السيور. ولكن مهلاً فعلى المرء أن لا يصاحب من في طبعه الختل والخديعة.

"جميل سيدا"

كان جميل سيدا من صناديد الأبطال وله شهرة واسعة في الشجاعة والمروءة ويروى أنه كان يقيم مع بعض رفاقه في ذروة أحد الجبال المجللة بالثلوج وفي يوم بارد شديد البرودة من أيام الشتاء حين تساقط الثلوج أحس ببرد شديد حتى لم يعد قادراً على مقاومته ولم يستطيع مغالبة ذلك الزمهرير فقال لرفاقه: إني أكاد أقضي برداً فإن أذنتم لي ذهبت إلى هذه القرية في أسفل هذا الجبل طلباً للدفء في أحد المساكن فأذن له رفاقه.

نزل جميل سيدا من الجبل وانحدر إلى القرية وكان الليل في الهزيع الأخير فرأى الأنوار خافتة وعلم أن أهل القرية يغطون في سبات عميق فلم يشأ أن يثقل على أصحاب البيوت ويوقظهم وأخيراً ارتأى أن يبيت ليلته في مسجد القرية، فدخل المسجد وكان بصيص ضوء خافت ينبعث من قنديل داخل المسجد وفي الوسط رأى شخصاً مكفناً وقد غطي بدثار فتمدد بجانبه وتغطى بذلك الدثار وقال:

-أيها الأخ... معذرة.. دعنا نُمضِ الليل بسلام.. أنا هنا وأنت هناك.. لا شأن لأحدنا بالآخر.

وعند الفجر وصل إمام القرية إلى باحة المسجد وتوضأ وأقام الأذان استعداداً للصلاة ثم ولج المسجد بعد أن عالج الباب وفتحه وعلى صوت الصرير الذي أحدثه الباب استفاق جميل سيدا ولما رأى الإمام داخلاً سأله:

-هل حان وقت صلاة الفجر؟

كان الإمام "الملا" يعلم أن هناك ميتاً ولم يكن يتوقع أن يسمع صوتاً فوقع مغشياً عليه وحين وفد المصلون إلى المسجد رأوا الرجل الغريب "جميل سيا"

قائماً لدى الإمام الذي خر على الأرض مغشياً عليه فأتوا بماء ورشوا به على وجه الملا فاستفاق من غيبوبته وظل يحدق فيهم لحظات ثم نهض وولى هارباً وهو يقول: لقد هجم علي الميت.

ومنذ ذلك اليوم أصيب الملا بمس من جنون وخولط في عقله.

هذا ما تعلمته من كلبي

كان مغترب كردي يقيم في ألمانيا فحسنت حاله بعد طول إقامة وصار من أصحاب المعامل والمشاريع، وكان بعض الفتيان من الأكراد حين يسافرون إلى ألمانيا يقصدون طمعاً في معونته والعمل في مصانعه ومشاريعه فكان يشيح بوجهه عنهم ويصرفهم بطريقة مزرية خالية من الذوق والكياسة وكان يستقبل الغرباء برحابة صدر بدلاً عن هؤلاء. ويقال أن هذا الثري كان يقتني كلباً مدرباً يجلب له الخبز من الأفران في سلة معلقة برقبته بعد أن يضع فيها ورقة يدون عليها مطلبه من عدد الأرغفة وذات يوم مرة خطر له ببال أن يحصي عدد الأرغفة التي يأتي بها الكلب فتبين له أن رغيفاً قد نقص وفي اليوم التالي أعاد الكرة فوجد رغيفاً ينقص.. مرت أيام وفي كل يوم يختفي رغيف، فقلق الرجل واهتم لهذا الأمر فانطلق متخفياً في أعقاب الكلب. سار الكلب مسافة طويلة بعد أن حصل على الأرغفة من المكان المعتاد. وتبعه الرجل حتى بلغ الكلب حفرة خارج العراء فدخلها ثم خرج. توجه الرجل إلى الحفرة فرأى فيها كلباً هرماً، قد أعطبت إحدى قوائمه وأمامه رغيف من الخبز، فأدرك الرجل أن كلبه كان يلقي كل يوم برغيف لهذا الكلب البائس فندم على ما كان يبدر منه إزاء بني جلدته وتذكر إساءته إليهم وناجى نفسه:

-وا ويلتاه... أيكون هذا الكلب خيراً مني؟. انظر إلى هذا الحيوان الأبكم كيف تحركت فيه هذه العاطفة النبيلة فظل يلقي برغيف إلى الكلب الهرم المعتل يوماً بعد يوم حتى يبرأ ويشفى وتزول عاهته ومنذ ذلك اليوم اتخذ موقفاً آخر فكلما جاءه أحد من بني قومه احتفى به وأكرمه وقال: هذا ما تعلمته من كلبي.

فتى من الفتيان وابنة العمدة

شغف فتى شغفاً شديداً بابنة "العمدة" فقال ذات يوم لوالدته:

-أماه... عليك أن تذهبي إلى دار "العمدة" كي تخطبي لي ابنته.

قالت الوالدة:

-يا ولدي إن ابنة العمدة نشأت في بيت عز ورفاهية من العيش وأرى أن نزوجك من ابنة عمك فهي أشبه بنا وحري بها أن توائمنا وتتلاءم معنا وسوف تطعم مما نطعم وتلبس مما نلبس أما ابنة العمدة فلن تقنع بعيشنا وخلاصة القول فإنها لن تناسبنا بحال من الأحوال. لكن الفتى ألح وألح على والدته وأصر على رغبته ولم تستطع والدته أن تزعزعه عن رأيه أو تغير موقفه فذهبت الأم صاغرة تحت الضغط والإلحاح وخطبت ابنة العمدة ودفعت لمهرها ثمناً باهظاً حتى تزوج منها ولدها.

في الصباح كانت ابنة العمدة تستفيق من نومها فتذهب إلى مرآتها تكتحل وتتزين وتسرح شعرها وترجله. ولم يكن أمامها أي عمل سوى أن تتزين وتتجمل، أما كنس الدار والأمور الأخرى فكانت من مهام الفتى وحده.

مرت الأيام رتيبة على هذا المنوال فضجرت الأم مما ترى من فعل الزوجة فقالت لولدها حين اختلت به: يا بني لقد جلبت علينا العار بسلوكك هذا بين أهالي القرية. تكنس الدار وتعد لها طعام الفطور وتقدم لها القهوة... لقد فكرت في خطة فلعلها تنفعنا جميعاً ولا أحسبها إلا دواء ناجعاً فربما أحست بتأنيب الضمير. غداً سآتيك وحين تكون زوجتك حاضرة وعند ذاك سأحاول منعك عن العمل وسأقول لك: هذا العمل لا يليق بك ولا يناسب طبيعة الرجل، ولكنك

سترفض بإصرار ولا بد من أن تتدخل زوجتك وتنهي المشكلة وتحسم الخلاف وتقول: بل جدير بي أن أقوم به. وهذا ما اتفقنا عليه.

وفي الصباح ذهبت الأم إلى غرفة ولدها فعمد الابن إلى المكنسة وحاول أن يكنس أرض الغرفة وكانت زوجته حاضرة فاقتربت منه وحاولت انتزاع المكنسة من يده وقالت: عار علك أن تفعل ذلك. سأقوم عنك بالكنس... واحتدم بينهما الجدال والنقاش وارتفع صراخهما فسمعته الزوجة "ابنة العمدة" وقالت: كفاكما صراخاً... لقد أزعجتماني... اكنس أنت يوماً ويوماً أمك. فلم هذا الشقاق؟.

بدأت الأم تكنس بعد أن تناولت المكنسة من يد ولدها وهي تترنم:

"نهضت خفيفة، سريعة.

دفعت في مهرها الكروم والشياة والسوائم

وما زلت أنا الخادم الخفيفة السريعة".

البائس وعابر السبيل

يحكى أن رجلاً بائساً مسكيناً يقتني حماراً رهواناً خفيف الحركة يركبه في أسفاره وعلى متنه يكسب قوته، وبينما كان يمتطي حماره قاصداً إحدى القرى إلتقي بعابري سبيل سائرين على أقدامهما فتجاوزهما بحماره. وإذ رأياه قال أحدهما لرفيقه: ليت هذا الحمار كان لنا فقال الآخر: أحقاً ترغب في استلاب الحمار؟ فقال الأول: آه... ليت ذلك يكون. فقال الآخر: ما دامت هذه رغبتك فأصغ إلي جيداً... سألحق بصاحب الحمار واستوقفه ثم آخذ بتلابيبه وأزعم أن الحمار لي فيحتدم الجدال بيننا فتلحق بنا وسأسألك هل تشهد بأن الحمار لي؟ فتقول: نعم. وهكذا لحق الأول براكب الحمار واستوقفه فسأله صاحب الحمار مستغرباً: وأي شأن لك معي وماذا تبتغي مني؟ فأمسك الرجل برسن الحمار وقال: هذا الحمار الذي تركبه حماري. فأنكر صاحب الحمار ما قاله الرجل الغريب، وعلا صياحهما وأخذ كل منهما بتلابيب الآخر وبينما كانا يتخاصمان وصل الرجل الآخر فقال الأول لرفيقه: أتشهد بأن هذا الحمار هو لي؟. فقال الآخر: أجل... وأقسم على ذلك برأس والدي. فاضطر صاحب الحمار إلى التخلي عن الحمار وتسليمهما الحمار. أخذا الحمار ومضيا به وهما فرحان بمغنمهما المتاح وقبل أن يغيبا عن بصره ناداهما وقال متوسلاً:

إني رجل فقير، بائس، ولي عيال أقوم بكسب قوتهم بهذا الحمار. وكلهم جائعون، حفاة عراة ولا مورد لهم سوى ما اكسبه من السعي على ظهر هذا الحمار. إن كل حمير العالم هي لكم. ما دام المدعي على هذا القدر من الإفك والافتراء وما دام الشاهد على هذا المبلغ من الزيف والزور والبهتان فما أيسر حصولكما على الحمير، فأتضرع إليكما أن تدعاني وشأني وتتركا لي حماري. فقهقه الاثنان وتضاحكا طويلاً وأعادا إليه الحمار..

ثورة الشيخ سعيد

في عام ١٩٢٥م إبان اندلاع ثورة الشيخ سعيد ومناهضة الأتراك كان الشيخ فخري نجل الشيخ خالد /شيخ عشائر الزيلان/ يعضد الثورة ويمدها بكل ما يستطيع من عون ومساعدة ومؤازرة وكان ركناً من أركانها... ولكن وا أسفاه... حين دحرت الثورة القي القبض الشيخ سعيد وبعض من رفاق الثورة وكان فيهم الشيخ فخري نجل الشيخ خالد وحين سمع الشيخ خالد بأسر ولده توجه إلى دياربكر واستعان بضابط كبير كانت بينهما وشائج محبة وروابط صداقة متينة وحدثه عن وضع ولده وطلب إليه أن يلتمس لولده خلاصاً إن كان ذلك ممكناً، وأنه لن ينسى له هذا الفضل، قال الضابط: خيرٌ أيها الشيخ الجليل... حباً وكرامة إني لن آلو جهداً. وسأبذل قصارى طاقتي.. وأني لمسافر غداً وعسى أن أحظى بالعفو وفك أسره.

وفي اليوم التالي صدق الضابط وعده وسافر إلى أنقرة، وهناك التقى بكمال باشا وحدثه بأمر الشيخ فخري وقال له: أيها القائد المبجل.. إن شيخ زيلان ليس لنا بعدو وأرضه بعيدة عن منطقة الشيخ سعيد ولقد افترى بعضهم على ولده كذباً وبهتاناً فألقي عليه القبض ظلماً وعدواناً وهو كما أعلم بريء كبراءة الذئب من دم يوسف.. وعلينا أن لا نمالئ علينا كل من هب ودب ونتخذهم خصوماً ألداء. فقال له كمال: وماذا تبتغي؟ فرد الضابط بكل ثقة: إني أريد إطلاق سراحه. فقال كمال: لا بأس.. سأسلمك الآن رسالة تؤديها إلى حاكم الاستقلال فإذا كان يوم المحاكمة وسئل الشيخ فخري من أي أرومةٍ هو فليقل بأنه تركي الأصل وليذهب من بعد ذلك بسلام فهو حر آمن مطمئن وكأن شيئاً لم يكن.

عاد الضابط فرحاً فقد أفلح مسعاه... وسلم الرسالة إلى الحاكم وزف البشرى إلى الشيخ خالد قائلاً: هنيئاً لك.. لقد جئت بقرار العفو عن ولدك فإذا سأله

القاضي: من أي قوم أنت؟ أجابه: إنني تركي.. وسوف يطلق سراحه ويعود إلى بيته وفي اليوم نفسه ذهب الشيخ خالد إلى السجن وقال لابنه وأسر إليه: ولدي –إذا جيء بك إلى المحاكمة وسئلت ممن تكون فقل آنذاك: إنني من أرومة تركية. فوعده ولده "فخري" خيراً وقال لوالده: سأفعل.

وبعد أيام عقدت جلسة للمحاكمة، وسأله القاضي: من أي قوم أنت؟. فقال الشيخ فخري: إنني من أصل كردي. فنظر إليه القاضي بحنق ونظر إلى الرسالة التي كانت بين يديه وظل حائراً فأعاد عليه السؤال من أنت يا ولدي؟ من أي قوم أنت؟ قال الشيخ فخري غاضباً: لقد سألتني وأجبتنك بأنني كردي، أليس من العار أن افتري على والدتي الطاهرة النقية بأنها أنجبتني من رجل تركي.. إني أرى مشانقكم فافعلوا ما بدا لكم.

وأخيراً اصطحبوه إلى المشنقة وأعدموه وصار في طريق الشهداء الأبرار.

كوخ المرأة العجوز أبهى من قصر الأمير

كانت امرأة عجوز تقيم في قصر أمير "الجزيرة" تتقلب فيه بين أجواء الترف والنعيم، تأكل فاخر الطعام وأطيب المآكل وتشرب أعذب الشراب وتنام بين فاره الرياش والأثاث، ومع كل ذلك لم تستطع أن تنسى كوخها المتواضع القديم وتكثر من ذكره بمناسبة ودون مناسبة وتتأوه فيقول لها الأمير: أيتها الجدة. إنك هنا بخير لا ينقصك شيء فأنت تقيمين في "برجا بلك" وها أنت ما زلت غير راضية النفس فماذا واجدة أنت في ذاك الكوخ الحقير؟ فتتأوه العجوز وتتحسر: آه... يا كوخي. فقال لها الأمير وقد أشفق عليها: تفضلي بالذهاب إلى كوخك وعودي غداً... وبعد أن انطلقت العجوز أرسل الأمير رجلاً يتعقبها ليراقب أحوالها وحال دارها.

سار الرجل متخفياً بحيث يراها ولا تراه، حتى بلغت كوخها المبني من اللبن الترابي... شاهدها الرجل تدخل الكوخ وترش الأرض بالماء وتفرش بساطاً مهلهلاً وتتمدد عليه وسمعها الرجل تتمتم قائلة: آه.. آه... يا كوخ العجوز أنت أطيب من برج أمير الجزيرة.

ولما عاد الرجل أخبر الأمير بما جرى له مع العجوز وما عاين من أمرها قال الأمير:

-"إن العجوز على حق فهي تنال كامل حريتها في كوخها".

الولد الطائش

عاش في مدينة "آمد" رجل ثري ثراءً فاحشاً وكان له ابن غر وجاهل بأمور الحياة، وكان الأب يعظ ولده ويهديه إلى سبل الرشاد ولكن عظاته لم تكن تلقى لديه أذناً صاغية وأيقن الرجل أن هذا الولد متى آلت إليه هذه الثروة الطائلة وهذه الأموال التي لا تأتي عليها النيران بددها وبذرها وصرفها بإسراف على أمثاله من العابثين الماجنين وأنه لن يصلح لإدارة هذه الأموال واستثمارها، فقام بتشييد قبة على سطح الدار وملأها قطعاً ذهبية وفي الداخل شد حبلاً إلى خشبة تسد فوهة في السقف تمنع الذهب من السقوط وجعل الحبل، كحبل المشنقة ووضع في أسفل الحبل كرسياً فإذا وضع أحدهم رأسه في الأنشوطة انحلت الأنشوطة وخر على الأرض دون أن يصاب بأذى أو يناله سوء فتناثرت عليه قطع الذهب وفرغت القبة من الذهب كله.

وسلم مفتاح الغرفة إلى زوجته وأوصاها أن لا تسلمه إلى الابن وبعد عدة أعوام مات الرجل الثري وكما تكهن فقد صرف الابن تلك الأموال الطائلة على الخلاعة والعبث والمجون مع خلان السوء حتى فرغت يده من كل شيء ولم يبق في حوزته صامت أو ناطق وتبدلت حاله إلى أسوأ حال واغتنى أصحابه من فضل أمواله، وفي يوم من أيام الربيع البهيجة، أيام تطيب النزهات التقى ببعض أصدقائه وخلانه القدماء فقالوا له: سنقصد هذا اليوم من بعد الظهر، الغابات والبساتين وليأت كل منا بشيء من الطعام فوافق الفتى على اقتراحهم وقال لهم: اسبقوني إلى هناك وليجهز كل منكم طعامه ويحضر عدة النزهة وتخلف الفتى وبحث في جيوبه عن مال يشتري به طعاماً ولم يجد فيها سوى دريهمات ولم يجد في السوق شيئاً أرخص ثمناً من المعلاق فاشترى بدراهم (معلاقاً)، وسار ليلتحق برفاقه الذين سبقوه إلى البساتين وفي الطريق عرضت له حاجة فوضع (المعلاق) على حافة حائط بستان ولم يكد يستدبر الحائط حتى

انقض بازي على المعلاق وحلق به فنظر الفتى إلى الطائر والمعلاق بين مخالبه فتقطع قلبه حسرات وحار في أمره ولم يدر ماذا سيصنع وكيف سيواجه رفاقه خاوي الوفاض وليس معه دراهم أخرى يشتري بها شيئاً آخر وألمه أشد الألم أن يواجه الرفاق صفر اليدين. إلا أنه استجمع رباطة جأشه وسار إليهم ولما اقترب منهم رأوه لا يحمل طعاماً فضحكوا منه واستهزؤوا به إذ تسوغ له نفسه الذهاب إليهم دون طعام فقال يعتذر إليهم:

-لقد جئت بمعلاق ولكن طائراً خطفه ولم استطع اللحاق به لكن الرفاق لم يصدقوا روايته فازدادوا سخرية وضحكاً وقالوا:

-هل يستطيع الطائر أن يختطف معلاقاً ويطير به ليأكله؟. خجل الفتى وشعر بمزيد من الهوان والذل وتمنى الموت في تلك اللحظة. وحين عاد إلى البيت تذكر ما جرى له فعقد العزم على الانتحار وبحث عن وسيلة للانتحار، وكانت أمه غائبة عن الدار وأجال الطرف هنا وهناك فلفت نظره مفتاح غريب معلق على زاوية مهملة من البيت فتناوله وأدرك أنه مفتاح تلك الغرفة السرية التي لم تسمح له والدته بدخولها فعالج الباب ودخل الغرفة فوجد حبلاً يتدلى من السقف وتحت الحبل كرسي فقال في نفسه: كم نصحني والدي أن لا أخالط رفاق السوء أو أعاشرهم فلم أعره سمعاً ولعله كان يرى هذا اليوم بعينه ويتوقع لي هذا المصير فقد أعد لي طريقة للخلاص من هذا الهوان، ثم أخرج رأسه من الأنشوطة فالتف الحبل حول رقبته ثم ركل الكرسي وغاب عن الوعي وسقط على الأرض مغشياً عليه فتناثرت عليه قطع الذهب فارتد إليه وعيه ولما نظر حوله وجد ذهباً كثيراً يغمر المكان فجمع الذهب المبعثر ووضعه في حقيبة وخبأ الحقيبة في حرز أمين ولما حضرت والدته تناول قطعتين ذهبيتين وتوجه إلى السوق لشراء بعض حاجيات ضرورية، ولما زاره الرفاق الفوا عليه أمارات الثراء فسألوا: أما زال عندك مال؟ قال لهم: يا أخوتي إن بيت الذئب لايخلو من العظام. وإني أدعوكم غداً إلى وليمة في بيتنا.

وفي اليوم التالي أعد الفتى للوليمة لحماً وافراً وفاكهة وشراباً وجهز طعاماً كثيراً، ثم جمع خلقاً كثيراً من الفقراء والمساكين وخصص لهم مكاناً واسعاً ولما حضر رفاقه المدعوون والتأم شملهم تجاذبوا أطراف الأحاديث وقال يحدثهم: في الأمس رأيت عجباً، كان والدي رحمه الله تعالى قد خبأ ركاماً من الصلب والفولاذ لأغراض تجارته في غرفة كبيرة، وبالأمس عرضت لي حاجة ففتحت باب ذلك المخبأ وإذ بي أشاهد نصف الحديد قد أتت عليه الجرذان بعد أن قضمته. فتعجبت من ذلك ولم أكن أصدق أن الجرذان تقرض الحديد. فقال الرفاق: ليس في ذلك عجب. إن ماتقوله صحيح ولا غبار عليه وهذا الأمر ليس إلا أمراً عادياً لأن لعاب الجرذان حين يسقط على الحديد يلين ويصير في طراوة الجبن ويسهل عليها التهامه، فما كان من الفتى إلا ان اخذ هراوة وانهال بها عليهم وطردهم شر طردة وهو يقول لهم: ياأولاد الكلاب حين قلت لكم أن بازياً خطف المعلاق أنكرتم على ذلك وسخرتم مني وقلتم: وهل يمكن للطير أن يخطف المعلاق؟ لأني آنذاك كنت أعاني فقراً مدقعاً واليوم بعد ما أثريت وحسن حالي قلت لكم: إن الجرذان قد التهمت حديدنا صدقتموني وقلتم ذاك أمر بدهي والله ما ذقتم من هذا الطعام فاذهبوا خاسئين. ثم دعا ذاك الجمع الفقير من البؤساء إلى الوليمة وتناولوا الطعام فرحين حتى شبعوا، ثم انصرفوا. عند ذاك أدرك الفتى أن الفقير متهم بالكذب وأن صدق وأن الثري مصدق قوله مهما افترى وأتى بأفانين الكذب.

البهلوان

قالوا: إن بهلواناً كان يجيد ستة وعشرين فناً. من فنون المصارعة والعراك، جاءه يوماً فتى والتمس منه أن يعلمه هذه الفنون فعلمه البهلوان خمسة وعشرين فناً من فنونه واحتفظ بفن واحد حجبه عن فهم الفتى.

ذاع اسم ذلك الفتى وانتشرت أخبار بطولاته يوماً بعد يوم فقد كان يتغلب على كل أقرانه ومنازليه ويدحر جميع من يتصارع معهم فشمخ بأنفه واعتد بنفسه أيما اعتداء إذ لم يبق بطل من الأبطال لم يقهره أو يتفوق عليه حتى أنه بدافع من عتوه طمع في مقارعة أستاذه ومعلمه فذهب إليه ذات مرة وطلب منه المنازلة فلم يتردد الرجل المعلم في منازلته وصرعه بأهون السبل وأخزاه بيسر فود لو أنه لو أنه لم يقف من معلمه هذا الموقف المهين وندم على طلب المنازلة.

قال المعلم لتلميذه الفتى: لو لم تكن ذا قحة ما جئت إلي تطلب مصارعتي ألا تذكر أنك جئتني وتزلفت إلي وتوسلت أن أعلمك فعلمتك وما ضننت عليك فما بالك تأتي لتكافئني على ذاك الجميل بصلفك وغرورك؟ لقد كنت أعلم أنه سيأتي عليك حين من الدهر تطلب مني فيه النزال فحجبت عنك من هذه الفنون فناً واحداً وبه دحرتك وأخزيتك لأن ابن آدم قد جبل على تناول "الحليب" نيئاً فسرعان ما ينكر الجميل وينسى الإحسان.

الحطاب

كان لحطاب بائس، حمار ظالع، جدعت إحدى أذنيه، أعور، مبتور الذيل، يذهب به إلى الجبال وينقل على ظهره ما يحتطب من الجبال، ثم يذهب إلى المدينة ليبيع الحطب ويشتري بثمنه قوتاً لعياله وفي يوم من الأيام وبينما كان يسوق حماره المحمل بالحطب ويخاطبه: وقاك الله من أعين الحساد. مر به عابر سبيل وسمع كلامه واستغرب من ذلك بعد أن عاين الحمار ورأى علاماته الفارقه وشاهد علاته وعيوبه فقال لصاحب الحمار:

عماه.. أي ليئم هذا الذي سيحسدك على حمارك هذا العجيب أو يصيبه بالعين؟.. فقال الحطاب: ياولدي أنا أعلم أن مثلك لن يصيبه بالعين، ولكن على رسلك.. انظر بعيداً إلى هناك.. سترى فلاحاً بائساً مثلي ينوء تحت حمل من الحطب مشدود إلى ظهره.. إن أمثاله قد يصيبون حماري بالعين.

يحسن العفو عند المقدرة

"نورشين" قرية مزدهرة تكتظ بالسكان تقع في كردستان الشمالية، كانت في عهد من العهود موئل عرش"حزرت" وحزرت: عالم كبير وزعيم للطريقة النقشبندية الصوفية"ويحكى أنه في أيامه أجرم قروي وفتك برجل في "نورشين" وفر هارباً ثم لحقت به زوجته، وبعد مضي ثلاث سنوات عنت للقاتل حاجة في القرية فدخلها في جنح الليل، شاكي السلاح، متنكباً بندقيته، قد اتخذ حزام الذخيرة نطاقاً وقصد داراً مجاورة لدار القتيل وفي الصباح علم أصحاب المغدور وأقرباؤه بمقدم القاتل وعلموا بوجوده في تلك الدار فطوق أربعة رجال من أهل القتيل الدار، غير أن أصحاب الدار لم يهن عليه هذا الاجتراء فذهب إلى"الشيخ حزرت" وأنبأه بالخبر فذهب الشيخ إلى أولئك الرجال وطلب منهم أن يدعوا_ هذه المرة_ القاتل وشأنه وناشدهم باسمه وبحرمة" التكية". لكن الرجال لم تلن لهم قناة ولم يستجيبوا لدعوة الشيخ وقالوا: يا مولانا الشيخ.. والله لو أختبأ القاتل الآن بين طيات جبتك ما عفونا عنه. فعاد الشيخ كسير الخاطر إلى داره وتحاور الرجال وقالوا: إن القاتل لن يغادر مخبأه بهذه السهولة وحري بنا أن نتركه الآن حتى إذا حل المساء ذهبنا بعيداً ونصبا له كميناً خارج القرية نتربص به وإذا حاول المغادرة وقع في شراكنا، فتركوا تطويق الدار وذهبوا إلى خارج القرية يترصدون قدومه على الطريق المفضية إلى القرية، وإذ حل المساء قال صاحب الدار لضيفه الذي كان لائذاً به: ها قد رحلوا فاستعد للقرار من القرية بأمان فتناول بندقيته وحزام ذخيرته واتخذ طريقه، وبينما كان يسير مطمئناً واثقاً من نفسه داهمه الرجال وألقوا عليه القبض وجردوه من سلاحه وشدوا وثاقه وأتوا به إلى تكية الشيخ" حزرت" فخرج الشيخ على صراخهم وذهل أن يجيبئوا بالقاتل موثقاً وقالوا للشيخ: الآن نعفو عنه كرامة لله تعالى وحرمة للتكية وتقديراً وحباً لك. إننا لو

عفونا عنه أول وهلة لكثر القال والقيل وحسب بعضهم أننا ما عفونا عنه إلا خشية أو رهبة لأن الرجل كان مدججاً بالسلاح. ولكنك يا مولانا الشيخ ترى في أية حال هو.. إنه أسيرنا اليوم فطابت نفس" حزرت" وكان بالغ المسرة لهذه المأثرة فقال: "حقاً.. إن العفو يحسن عند المقدرة".

العجوز الفلاح

يقال أن عابَريْ سبيل ترافقا في سفر فلقيا رجلاً عجوزاً يحرث أرضاً فسأله أحد الرجلين:

_أيها الجد لماذا تزرع متأخراً؟

قال العجوز:

_يا ولدي لقد زرعت باكراً، ولكنه جاء متأخراً.

قال الرجل:

_كيف حال أباعدك؟ قال الرجل:

_لقد تدانت. قال الرجل:

_كيف اثنتاك؟ قال العجوز:

_لقد صارتا ثلاثة؟ قال الرجل:

_وكيف هي ارتال الفرسان؟ قال العجوز:

_تبعثرت وتبددت. قال الرجل:

_وكيف حال جبل الزوزان؟ قال العجوز:

_لقد تسربل بالثلج فصار أبيض ناصعاً.

القثاء المر

يروى أن فتى كان قد تأهل حديثاً ويحب زوجته حباً جماً وكانت له مقثأة يأتيها كل يوم ويجني منها ثمراً فيه الحلو والمر ويجلبه إلى البيت وكان يتذوق كل ثمرة فإذا رآها مرة طرحها إلى والدته وإن رآها غير ذلك أعطاها لزوجته، ولم تكن المرأة تعلم بفعلة زوجها ولفت نظر الزوجة أن الحماة تتذوق القثاء ثم ترميه فأنكرت صنيعها وسألتها مستنكرة: لم تسرفين في القثاء؟ قالت الحماة وقد نفد صبرها:

-إن من دأب زوجك أن يعطيني كل ثمرة مرة فإذا تذوقتها ووجدتها مرة اضطررت إلى رميها.

ثم سألت الزوجة زوجها إن كان صحيحاً ما تقوله والدته فقال لزوجته: إن ما سمعته صحيح. ولما تأكد للزوجة فعل زوجها المنكر سعت بكل الوسائل إلى الطلاق من هذا الولد العاق. ثم تزوجت رجلاً صالحاً فرزقت منه بأربعة بنين، كما تزوج ذاك الرجل امرأة أخرى ورزق منها بثلاثة أبناء. أما أبناء المرأة جميعهم فكانوا بأرين بوالدتهم لا يعصون لها أمراً وكان أبناء الرجل الثلاثة عاقين يذيقونه كل صنوف العذاب وينكلون به تنكيلاً، يسبونه ويكيلون له الشتائم ويضربونه ضرباً مبرحاً وكان من عادة تلك الأيام أن يخرج الجميع أيام الربيع إلى البراري طلباً لمواقع الرعي والكلأ وكانوا يتركون قراهم خاوية على عروشها، فارتجل أولاد الرجل الثلاثة وأهملوه في القرية فظل الرجل يعاني من الوحدة والوحشة وبينما كان موكب المرأة يمر بتلك القرية الموحشة، شاهدت رجلاً مسناً متهدماً قد تخلف عن الركب فطلبت من أولادها أن يتوجهوا إلى ذاك الرجل الذي رابها أمره وحين وصلوا إليه سألوه عن سِرِّ وجوده منفرداً في القرية المهجورة، غير أن الأم عرفته وعرفت أنه زوجها السابق فقالت له: مالنا نراك متخلفاً عن المرتحلين؟. أجاب الرجل: لقد كان أولادي

عاقين وتعمدوا التخلي عني كي تفترسني السباع. قالت المرأة: اتعرفني؟ إنني تلك الزوجة التي كنت تطعمها قثاءً حلواً... وأنت الذي كنت تطعم أمك ثمراً مراً من القثاء. فأعلم أن عاقبة الظلم وخيمة وها أنت الآن تجني ما زرعت. انظر إلى هؤلاء الفتيان الأربعة... إنهم أبنائي. يلبون لي كل ما أطلب منهم. لم يعصوا أمري مرة واحدة. وقدماً قال الأوائل:

"إن النبتة المرة لا تثمر إلا قثاءً مراً".

من مكائد النساء

ذات مرة تطرق زوج وزوجته في أحاديثهما إلى مكائد النساء واختلفا في ذلك اختلافاً كبيراً. قال الزوج: المكيدة كل المكيدة مكيدة الرجال وقالت المرأة غير ذلك وأكدت أن المكائد لا تتقنها إلا النساء، غير أن جدلهما كان عقيماً ولم يفض إلى وفاق.

قالت المرأة متحدية: سترى أية مكائد هي مكائد النساء. وفي اليوم التالي خرج الرجل وذهب لحراثة حقله وقد نسي كل شيء عن هذا التحدي، أما المرأة فكانت قد بيتت العزم على قهر زوجها وحمله على اعتراف بتفوق النساء وبأسهن في الختل والمخادعة، فذهبت إلى السوق وابتاعت ست سمكات صغيرة ثم أعدت له طعام الفطور، وسبقته إلى الحقل/دون أن يشعر بها زوجها/ فنبشت الأرض وطمرت كل سمكة في حفرة بحيث تفصل بين السمكة والأخرى مسافة خمسة أذرع على حاشية الحقل ثم رجعت إلى الدار وبعد أن تناول الرجل فطوره ذهب سريعاً إلى الحقل وأمسك بمحراثه وطفق يحرث الأرض، ولما سار خطوات بانت سمكة من تحت التربة التي أزاحتها سكة المحراث فتناول السمكة بين مصدق ومكذب، ولما تابع الفلاحة ظهرت سمكة أخرى حتى أتى على السمكات كلها واكتمل العدد ست سمكات ففرح بها فرحاً عظيماً. وعاد إلى البيت ليبشر زوجته بصيده الثمين فصرخ فيها: "خذي هذه السمكات وأعدي لنا طعام الغداء فإني لم أذق سمكاً منذ أمد بعيد... لقد اصطدتها في الحقل".

إلا أن المرأة أخذت السمك وخبأته في مكان وأعدت لزوجها "صلصلة بصل". ولما حان وقت الغداء حضر الرجل وطمع أن يكون غذاؤه سمكاً شهياً. ولكنه رأى زوجته تقدم له وعاء مليئاً بالبصل المطبوخ والماء وقال أين السمك؟ فقالت المرأة متجاهلة: أي سمك تعني؟ هل أصابك مس من جنون؟.

"كلمة من هنا وكلمة من هناك" دب الشقاق بينهما وعلا صراخهما فتشاجرا وتنازعا فجاء الجيران يستطلعون جلية الأمر وسألوهما عن سبب الخلاف فقالت الزوجة: اسألوا زوجي فهو يعلم سبب عراكنا. فسأله الجيران: ما شأنكما؟ فقال رعاكم الله. في صبيحة هذا اليوم بينما كنت أحرث الأرض ظهرت لي سمكات ست من تحت سكة المحراث فسلمتها إلى زوجتي لتجهز لنا طعاماً عند الظهر. فقهقه الجيران وسخروا منه وقالوا: أجننت؟ ماذا دهاك يا رجل. إن السمك يعيش في مياه البحر والأنهار فكيف عثرت عليها في التربة اليابسة. فاضطر الرجل بعد أن غلب على أمره وأفلت منه زمام الأمر إلى مصالحة زوجته والتوسل إليها أن تغفر له زلته، وبعد أن غادرهما الجيران. نهضت المرأة وطهت السمك في الزيت ووضعته أمام زوجها وقالت له:

هل أدركت مكائد النساء كيف تكون؟.

إيبو بك

كان إيبو بك من كبار زعماء العشائر الكردية في "سرطون" وكان قد تبنى طفلاً أرمنياً فترعرع في كنفه وحين شب عن الطوق التحق بالجيش الروسي القيصري وتسنم في الجيش رتبة رفيعة واستلم مركزاً مرموقاً أيام الحرب الكونية الأولى وكان يدعى "خاجيك" وبعد اندحار ألمانيا في الحرب وهزيمتها المنكرة دخلت الجيوش الروسية أراضي من تركيا لأن الدولة العثمانية كانت متحالفة مع ألمانيا ضد القيصر وكانت هذه الجيوش الجرارة قد توغلت في أرض من كردستان الشمالية.

وفي أحد الأيام أتاه "خاجيك" وقال له: إنني ضابط كبير في الجيش الروسي فكن مطمئناً ولا تهجر قريتك فإنني أعاهدك أن لا يمسّك سوء على يد الجيوش الغازية فقال إيبو بك هذا حسن جداً يا ولدي... شكراً لك على هذا الصنيع.

كانت عشائر إيبو بك وعشائر زيلان وحسنان وحيدران قد ولت الأدبار وتركت ديارها خشية البطش الروسي. إلا أن إيبو بك قال لأولاده الأربعة بعد أن اطمأن إلى وعد "خاجيك":

-اذهبوا بسلام ودعوني في هذه القرية مع زوجتي وشقيقاتكم وزوجاتكم، فهاجر أولاده الأربعة إلى الأراضي السورية ومكث إيبو بك مع أولئك النسوة.

وذات يوم زار خاجيك ربيب إيبو بك مع كتيبة من الفرسان وكلهم ضباط في الجيش الروسي قرية إيبو بك.

وبعد أن استتب بهم الجلوس على الفرش الوثيرة وبعد أن عمدوا إلى تعليق بنادقهم على المشاجب وتناولوا طعاماً فاخراً، طلب خاجيك إلى إيبو بك أن

يتبعه إلى خارج المجلس وإذ خرجا من غرفة الضيافة أسر إليه بأمر اقشعر له بدن إيبو بك، قال له خاجيك:

-اذهب واجلب أولئك النسوة إلى مجلس الضيوف كي يستمتعوا بهن قليلاً وفي المساء سنرحل. فقال إيبو بك بعد طول تفكير: لا بأس يا ولدي.. سأذهب إليهن حتى يتأهبن لذلك ثم ذهب إلى نسائه وحدثهن بهذا الحديث المريب ثم قال لهن فماذا تقترحن وما رأيكن؟ وما العمل؟ فتصدت له الابنة وقالت له: اقتلني بمسدسك هذا ولن أحملك وزري يوم الحشر وأحفظ لنا شرفنا، كذلك قالت له كل واحدة وما لبث أن صعدت أرواحهن إلى باريهن صوناً لكرامتهن، ثم دخل الرجل بعد أن عبأ مخزن الذخيرة فرأى الضباط مضطجعين على الفرش متكئين على الوسائد الفارهة فقتلهم جميعاً كما قتل خاجيك وفر بجلده إلى أراضي "سرحدان" وقال مناجياً نفسه:

أيها الفلك الدوار ماذا فعلت؟ ولماذا فعلت بي كل هذا؟.

السلطان

من العادات الشائعة بين الأكراد أن الفتى إذا تزوج أصبح سلطاناً في تلك الليلة حتى يطلع عليه النهار فإذا تمنى على أحدهم الأماني حقق له ما يروم وفي اليوم التالي يسقط عن عرشه ويصير طوع الفتيان فمهما فعلوا به أذعنوا لهم.

وفي يوم من ذاك العهد زفت إلى فتى من عاموده عروسهُ وكما أسلفنا صار ذلك الفتى في يوم زفافه سلطاناً وكان بعض الفتيان من لداته الذين كانوا تحت إمرته في ذلك اليوم يحيطون به يترقبون بشوق أوامر السلطان، وكانت فرقة من الجنود العثمانيين قد عسكرت بالقرب من عاموده وكانت قادمة من ماردين متجهة إلى الموصل. قال بعض أترابه: تعال أنبئنا وقل ماذا تتمنى علينا؟ قال: أذهبوا واحضروا قائد الجند إلى هنا، فتألب بعض الفتيان واستجمعوا رباطة جأشهم وتوجهوا إلى خباء القائد وقالوا للحراس: إننا نرغب في مقابلة القائد لأمر ضروري فسمح لهم بالدخول وسألهم القائد: ماذا تريدون؟ قالوا: إن السلطان يطلبك إلى مجلسه فلا تتأخر عن الحضور فضحك القائد وقال: إنما يكون السلطان في استانبول وليس في عاموده. فقالوا: بلى ولكن سلطاناً ذا شأن تقوم له قائمة في عاموده الآن.

ذهل الضابط وكاد أن يصيبه مس من جنون لأنه كان على جهل مطبق بمثل هذه العادة. إلا أنهم افهموه أن الرجل يصير سلطاناً ما لم يدخل على عروسه وفي الغد بعد أن يتزوج يؤول عرشه إلى الزوال.

نهض الضابط وتوجه إلى دار العريس ولما وصل إليه حياهُ باحترام وقال له: إني رهن أشارتك يا سلطاني. قال العريس: إني آمرك بدفع أربعين "مجيدياً" فقال القائد: السمع والطاعة يا مولاي السلطان. ثم عاد إلى الجند

فجمع له أربعين "مجيدياً" وعاد بالمبلغ إلى العريس ووضعه أمامه ثم قال له وهو ينظر إليه نظرة عداء: غداً سيكون لي معك شأن آخر وما إن عاد إلى فرقته حتى تبلغ أمراً بالمسير لساعته والتوجه إلى الموصل، فتحركت القافلة في تلك الليلة وسارت قاصدة الموصل.

وبعد مرور عام ألقى الأمر إلى القائد للعودة إلى مواقعه في ماردين، فقوض الجند خيامهم وتوجهوا إلى ماردين وبعد مسيرة ثلاثة أيام وصلوا إلى مشارف عاموده ونصبوا هناك خيامهم. تذكر القائد قصة السلطان فأرسل بعض جنوده لإحضاره ذاك السلطان المزيف... ظل القائد ينتظر ساعة وحين وصل الجند إلى دار العريس قالوا له: تفضل بالمثول أمام القائد. قال الفتى:

-إنني السلطان فكيف يجرؤ قائدكم أن يفكر في إحضاري؟ وهكذا رجع الجنود وأخبروا القائد بما جرى مع الفتى العريس فحمل سوطه وذهب إلى القرية ودخل دار العريس فرآه جالساً على فراش وثير. قال له القائد ساخطاً: أيها السلطان المزيف لم لم تحضر وقد أرسلت في طلبك؟ قال العريس: ألزم حدودك أيها الضابط فإنني ما زلت السلطان وما مسست العروس بعد. وكن على يقين بأنها ما زالت عذراء وإن ظهر ما يخالف ذلك فافعل ماشئت. أيها الضابط إن الذي تجرأ على أخذ أربعين "مجيدياً" من ضابط كبير مثلك عليه أن يحسب للأمر ألف حساب.. والله إنني ما زلت أعزب وهي ما زالت عذراء.

ابتهج الضابط لما سمع وفرح فرحاً عظيماً وقال له: ما دام العام قد انصرم وما زلت مشغول البال خوفاً من العقاب وفرقاً مني. فإني أتنازل لك عن المجيديات وأنا مرتاح النفس والبال. بوركت لك عروسك وبالرفاه والسعادة.

حسين آغا الزيلي

كان حسين آغا زعيماً للعشيرة الزيلية. وهي عشيرة كبيرة العدد جميع أفرادها من "الكوجر= الرحل" وهم أصحاب شياهٍ وسوائم ومواش. في الصيف ينتجعون صعداً في الزوزان وفي الشتاء ينحدرون إلى ألمشاتي في سواحل بحيرة "وان" ويقال أن شاه العجم علم فيما علم أن لحسين آغا ابنة فائقة الجمال ما من فتنة أو جاذبية إلا أخذت منهما بنصيب، وفي يوم من الأيام أتاه شاه العجم في بعض وزرائه ونزلوا عليه ضيوفاً وكانوا قد وفدوا لخطبة تلك الفتاة لابن الشاه. غير أن حسين آغا لم يكن يعرف شيئاً عما يبيته ضيوفه وعن سر زيارتهم، فأولم لهم وليمة سخية وفاخرة وأكرم وفادتهم وحين دعاهم إلى تناول طعامهم أبوا أن يتقدموا إلى الطعام فاستغرب حسين آغا ذلك وسألهم: مالي أراكم تمسكون عن طعامكم؟

من العادات الجارية أن الضيف كان يمسك عن الطعام حتى تنفذ رغبته. قال الشاه: جئنا راغبين في كريمتكم زوجة لولدنا فإن رضيت بذلك نفسكم أكلنا طعامنا وإلا فإننا مرتحلون قبل أن نذوق طعامكم.

جمع حسين آغا بعض الرجال من ذوي الحكمة والحنكة والمراس بالأمور وسألهم مالعمل؟ فقالوا له: إننا ننصحك أن تعده خيراً وتلبي رغبته وإلا نفقت مواشينا وسوائمنا تحت الثلوج لأن الشاه سيحول بيننا وبين الوصول إلى القوافل في "وان" وهكذا أقسر حسين آغا على أن يعلن للملأ وعلى رؤوس الأشهاد وأن يقول لضيوفه:

تفضلوا... تناولوا طعامكم... فإنني رهن إشارتكم. أقبل الضيوف على طعامهم حتى شبعوا، ثم عقد قران الفتى على الفتاة، ولم تكد تمضي ثلاثة أيام حتى زفت العروس إلى عريسها.

بيد أن ابنة حسين آغا كانت مغرمة بعلي آغا وكان مغرماً بها وبينهما وشائج من حب وأواصر من عشق جارف، وكان علي آغا غافلاً عن كل الذي جرى لحبيبته.

وتكريماً للعروس شيد الشاه قصراً شاهقاً بين البساتين والأشجار ليسكن فيه الزوجان ويقيما فيه، وحين أقبل الصيف كانت الثلوج قد صهرتها حرارة الشمس وازدانت الأرض بالكلأ والأعشاب والورود والرياحين، في ذلك الوقت كانت عشيرة حسين آغا تستعد للرحيل إلى الزوزان طلباً للمراعي.

في تلك الأثناء كانت العروس تطل من فوق شرفات القصر. شاهدت عشيرة والدها تتأهب وتستعد للرحيل إلى الزوزان فاختلج صدرها بالأشواق وأنشأت تقول وتندب حظها:

أنا ابنة حسين آغا. أنا البائسة المسكينة. أنا موجة من ماء الينابيع. أنا البائسة المسكينة دفقه من الثلوج. يا ولدي... تباً لك لا وقعت عيناك على أمر يسرك إن فلحت أرضك سبع مرات وزرعتها قمحاً أحمر فليكن حصادك الزؤان الأسود. ولتعش عيناك. ولتحمل على عاتقك جعبة المتسولين وتطرق كل الأبواب.

ما بالك لم تزوجني من علي آغا الشكاكي فارس الحصان "ولي" ليث هذه الأصقاع ومغوار كردستان وصنديد الزوزان؟ وزوجتي من أمير "عجمي"؟.

يا علي آغا... إني أسيرة هؤلاء الأغراب.

فلم لا تهرع لنجدتي.

كان بالقرب من المكان راع كردي يرعى أغنامه فحفظ عنها كل ما تفوهت به، وفي المساء عاد بأغنامه إلى البيت وقال لصاحبها: إني راغب في السفر لزيارة الأهل فأمهلني ثلاثة أيام ريثما أذهب وأعود، فأذن له صاحب الغنم. في تلك الأيام كان علي آغا الشكاكي ورجال عشيرته يخيمون في أرض "شماموك" وهم لا يعلمون بما جرى.

ذهب الراعي إلى سهول "شماموك" وبعد جهد وتعب وصل إلى مرابع العشيرة في غضون يومين ودخل على الآغا خباءه وجلس في مكان قصي حتى حان موعد طعام العشاء فأكل الجميع وشبعوا وطوي البساط ورفعت الصحون. ثم قال علي آغا يحدث الحضور: لو أن مغنياً أتحفنا بأغنية هذه الليلة فإني أحس كآبة. فلم يتحرك من المجلس أحد. وخيم عليهم الصمت فنهض الراعي حتى دنا من علي آغا وقال له: أنا الذي سيغني لك هذه الليلة، ثم وضع يده على خده وشرع يغني تلك الأغنية التي حفظها عن فتاة القصر. فقال علي آغا:

أيها الفتى... متى حدث ذلك؟ قال: ذلك ما علمت به من يومين في الصباح الباكر نهض علي آغا وعبأ جيشاً لجبأ عداده ستة آلاف فارس، ثم سار الجيش والراعي يرتاد موقع القصر الذي تقيم فيه الفتاة البائسة في بلاد العجم، وبعد يومين وصلوا إلى القصر فقتلوا ابن الشاه واستعادوا الفتاة... وتزوجها علي آغا الشكاكي.

تمر باشا

حين أصدرت الدولة العثمانية مرسوماً "فرماناً" بإهدار دم تمر باشا واستباحة أمواله وممتلكاته اضطر إلى مغادرة مدينة "ويران شهر" واللجوء إلى مدينة الموصل هرباً من نقمة الأتراك.

وفي يوم من الأيام بينما كان جالساً في ظل جدار، وكان هناك صبية يلعبون لعبة "الكعوب" اختلف الصبيان في وضعية أحد الكعوب واحتكموا إلى "تمكو" كان يزعم أنه يدعى "تمكو" أمعاناً في التنكر ومبالغة في التخفي. قال أحد الصبية: فليحكم بيننا، تمكو، وعرضوا عليه وضع الكعب المختلف عليه وسألوه إن كان في وضع منتصب فقال: تمكو: إنه منبسط على الأرض فقال الصبي الذي وقع عليه الشرط: إنك يا تمكو فاقد الضمير... وكأن رأيك غير سديد وحكمك مجحفاً. فضحك تمر باشا في قرارة نفسه وقال له هاجسه: كنت فيما مضى من الزمان أوفق بين العشائر والقبائل الكبيرة إذا تخاصمت والآن قد أصبح اسمي "تمكو" ولا استطيع صلحاً بين طفلين؟؟!!.

الذئب والغنم

ضمني ذات يوم وطاعناً في السن مجلس وكان جلوسه إلى جانبي فقلت له: أيها الجد. تكلم... وتحدث إلينا فإن لحديث المسنين طرافة وطلاوة فتكلم الرجل الهرم وقال لي: أجل يا ولدي.. لقد كنت أجيد في عهد الفتوة –فن الرمي، لا يطيش لي سهم ولا تفوتني شاردة أو واردة وأحسن التسديد كأفضل ما يكون التسديد. وفي أحد الأيام كنت أتنكب بندقيتي وأنا سائر إلى أحدى القرى وحين قصدتها وبلغت مضافة القرية جلست فيها مع الجالسين...

فقال لي بعض القرويين: ها قد أتيت... هناك ذئب في تلك الغابة الجبلية وقد فتك بأغنامنا ودوابنا فتكا ذريعاً فعسى أن تقضي عليه وتنقذ سوائمنا من شره قلت لهم: أرشدوني إلى مكانه.

فخرجت مع بعض الرجال وأشاروا إلى مكانه فكمنت له وراء صخرة حتى إذا خرج الذئب عاينته معاينة حسنة، وبغتة أطلقت عليه رصاصة من بندقيتي فعاد الذئب إدراجه، وكنت واثقاً أن الرصاصة أصابت منه مقتلاً. قال بعض الذين كانوا يرافقونني: إن المقذوف لم يصبه. قلت: إني على يقين من إصابته.

عدنا جميعاً إلى المضافة، وبت ليلتي هناك. وفي الصباح استفقت على صخب وضجيج، وحين خرجنا شاهدنا الذئب خارجاً من جحره وقد أصابته الطلقة في صدره وأردته قتيلاً.

ومن عجيب ما رأيت أن ذئباً "ادرد" قد سقطت أنيابه... قد هرم وشاخ وكَلّ بصره يحتضن الذئب الجريح ويضع فمه حيث فوهة الجرح وقد خرّ حينها أيقنت أن هذا الوحش ليس ذئباً بل ذئبة وأنها ليست سوى أمه.

كان ولدها الذئب يأتيها كل يوم بإلية شاة لان الإلية لا تحتاج إلى نهش كبير.. يا ولدي... إنه وحش من الوحوش التي تألف البراري والأماكن الموحشة، لكنه كان براً بوالدته. ولكن اعلم علم اليقين أن أولادي قد عقوا وطردوني شر طردة وها أنذا هائم على وجهي... أقف على أبواب الكرام وأبيت كل ليلة في "مضافة" كريم من الكرماء. هكذا نحن أبناء آدم لا نبلغ في توادنا وتراحمنا مبلغ سباع البر وحوش الجبال والفلوات.

بدرخان بك

أمير جزيرة بوتان

حين فر بدرخان بك من بطش الأتراك العثمانيين وغادر مدينة الجزيرة استتب به المقام في قرية "خرزة" وهي من أعمال مدينة عامودة، وكان مختار القرية يدعى خلف حسين جتو. سأله المختار مرة: عمّ باحث أنت أيها الأخ؟. وا أسفاه لم يكن يعرفه المختار. فقال بدرخان بك: إني أبحث عن عمل. فقال المختار: منذ أيام كان هنا ساق للقهوة "قهوجي" وقبل فترة قصيرة ترك عمله وذهب لطيته وإننا الآن بحاجة إلى من يقوم مقامه فهل تجد في نفسك الكفاءة للقيام بهذا العمل؟ فقال بدرخان بك: أجل.. إني استطيع. قال المختار: لدي بعض الأرانب ستقوم كل يوم بتقديم فتات الخبز لها. فقال بدرخان بك: لا أستطيع ذلك فهذا العمل يليق بالصغار. قال المختار: لا بأس.. ولكن ماذا تطلب مقابل عملك؟ قال بدرخان بك: لا أريد سوى كفاف يومي من الطعام ولي شرط واحد: أن لا أتي بالوسائد وما إلى ذلك من الحرم النسائي إلى المضافة. وعلى هذه الشروط تم الوفاق بينهما.

مضت ثلاثة أعوام وبدرخان بك يتعاطى مهنة "الساقي" وفي أحد الأيام امتطى المختار راحلته وقصد ماردين، وحين عاد في المساء من المدينة التف به القرويون وسألوه: هل من جديد في المدينة؟ أجابهم: لا شيء. سوى إنني رأيت ملصقات على أبواب المحلات والحوانيت ومنادياً ينادي: بأن العفو قد صدر عن "بدرخان بك".

في تلك اللحظة كان بدرخان بك يعد قهوته جالساً وراء الموقد ويصغي بهدوء وسكينة وببالغ الاهتمام إلى حديث المختار وحين تفرق القوم وأموا

بيوتهم قال وقد استدار إلى المختار: لقد قلت أن العفو قد صدر عن "بدرخان بك" وأنك شاهدت الناس يلصقون إعلانات على الأبواب والجدران فهل تستطيع الذهاب إلى المدينة وإتياني بورقة من تلك الأوراق المنشورة؟.

ومن جديد تأمل المختار "القهوجي" وأمعن فيه النظر فأدرك كل شيء، لكن بدرخان بك قال له: على رسلك. إنني ما زلت الـ"قهوجي" ولكن متى تأكدت من صدور العفو فسأكون بدرخان بك وإني لأرجو أن يبقى هذا الأمر سراً بيننا.

وفي الصباح استعد المختار للسفر إلى ماردين فركب راحلته الرهوان وتوجه إلى المدينة وهناك استطاع أن ينتزع من أحد الجدران قصاصة من القصاصات وعاد سريعاً وحين أشرف على تخوم القرية "خرزة" شاهد مئات الفرسان وقد ثار النقع تحت سنابك الخيل والجياد متجهين إلى خرزة. حتى أن ستاراً من الغبار كان يحجبهم عن الأنظار، واتضح له أن الشعب في جزيرة بوتان كان يعلم جيداً أن الأمير متنكر في هيئة قهوجي في خرزة ولكنه كان يتجاهل ذلك عن قصد حرصاً على سلامته.

حين وصل خلف إلى القرية ودخل المضافة رأى "بدرخان بك" متسربلاً بزي الإمارة والتاج يكلل رأسه، قال له بدرخان بك: تعال إلي يا خلف... الآن أنا الأمير بدرخان، فطأطأ خلف برأسه خجلاً وحياء وأطرق بنظره إلى الأرض. فهون عليه الأمير الأمر وقال له: لا تثريب عليك فهكذا تدور عجلة الزمن. البارحة كنت القهوجي: وها أنا اليوم أمير. ثم نهض الأمير بدرخان بك وودع القرويين فرداً فرداً وقال لخلف ائتنا في العام القابل زائراً.

وبعد أن حال الحول، سار خلف ورجل من أهله وذهب إلى جزيرة بوتان ودخلا على الأمير في إيوانه، فرحب بهما أجمل ترحيب واحتفى بهما احتفاءً كبيراً وسألهما عن حال القرويين وأخبارهم جميعاً. ثم قال له يمازحه: أمازلت

تعتني بالأرانب؟ فاحمر وجه المختار خجلاً وتفصد العرق من جبينه. ثم داراه الأمير وجامله حتى استعاد رباطة جأشه.

مكث المختار ومرافقه في ضيافة الأمير سبعة أيام ثم استأذنا الأمير في الرحيل فأذن لهما وأغدق عليهما من الهدايا السنية والذهب والأموال شيئاً يفوق الوصف، ويشاع حتى هذه الأيام أن ثروة خلف حسين جتو وأولاده كانت بذريعة تلك الهبات السخية.

صدق أو لا تصدق

في الحرب الكونية الأولى توغلت قوات الحكومة القيصرية في بلاد كردستان فاضطر كثيرون من أصحاب القرى في مناطق "سرحدان" إلى الهجرة من منازلهم أمام هذا الاجتياح وتفرقوا في البلاد بدداً ولاذوا بالمدن الغريبة والسهوب والبراري وفي غضون تلك الأيام شبت الحرب المدنية "الأهلية" في روسيا بالذات بين الأحزاب المنشفية والبلشفية، وحين قفلت جحافل الجيوش الروسية اصطحبت معها عائلات كردية برمتها.

الطقس بارد، جبال سرحدان- ترتدي حلة بيضاء من الثلج كبياض البيض. الأسر والعائلات جادة في السير وفي الطريق اعتور المخاض زوجة "جانكير" المدعوة: زرو. قالت زرو لزوجها جانكير إني في حالة مخاض وسوف ألد وشيكاً فما العمل؟ لكن جانكير لم يقل لها شيئاً وذهب إلى قائد الجند وقال له: سيدي... إن زوجتي قد جاءها المخاض وعسرت ولادتها، وأتوسل إليك أن تأتي وتطلق رصاصة على رأسها من مسدسك وتنقذها من الحالة التي تردت إليها.

قال الضابط:.. كلا.. كلا ما هكذا تكون المروءة والإنسانية فلتمكث امرأة مع زوجتك فإذا تمت الولادة تركنا المولود هناك ولحقنا بالقافلة.

ذهب جانكير إلى امرأة وطلب إليها أن تولد زوجته فأسرعت إلى زرو والتجأتا إلى صخرة وجلست هناك حتى إذا وضعت زرو وزرها /كان المولود ذكراً/ لفتاه بخرق وأسمال وتركتاه بالقرب من الصخرة وتابعتا المسير حتى لحقتا بالقافلة.

سارت القافلة حتى بلغت الأراضي الروسية، والتحق جانكير وزوجته زرو بدار أسقف المدينة لخدمة المنزل. وكان القس يخدم الأسقف ويساعده في أموره

الخاصة أما زوجته زرو فتفرغت للأعمال المنزلية ومضت عدة أعوام على هذا المنوال.

كان للأسقف ابن يدرس في معهد من المعاهد. ولما اقترب موعد الامتحان التمس الابن الطالب من جانكير وزوجته زرو أن يدعوا له بالنجاح والفلاح ووعدهما إن أفلح في الحصول على شهادته طلب إلى والده أن يلبي لهما كل رغباتهما ويحقق ما يتمنيان. ثم أن الابن أفلح في سعيه ونال شهادته فقال لجانكير: قل لي ماذا تتمنى؟.

قال جانكير:

-إنني أتمنى أن نعود إلى بلادنا فأذنوا لنا بذلك وليس لنا أمنية سوى هذه الأمنية ولا نرغب في شيء آخر وإذ علم الأسقف بذلك قال له: إن بلادكم قد صارت خرائب واطلالاً تلعب فيها البوم وتعبث فيها الذئاب والضباع والسباع. لكن جانكير أبى إلا العودة ولما وثق منه الأسقف وعلم أن جانكير وزوجته آيبان لا محالة أعد لهما عدة السفر من خبز وطعام وماء فحمل كل منهما جعبة مليئة بخبز يابس ومنحهما عدداً من القطع الذهبية فودعاه وودعا جميع أهله وانطلقا عائدين شطر بلاد "سرحدان".

الجبال أهلة بالسكان، الينابيع ثرة عذبة والزاد وفير يكفي لرحلة طويلة... سارا ما استطاعا إليه سبيلاً ولما اقتربا من ذلك المكان الذي ترك فيه الطفل جلست زرو واجهشت بالبكاء وقالت: هناك، في أكناف تلك الصخرة تركت ولدي، فناشدتك الله أن تأتي معي إلى تلك الصخرة فلعلنا نعثر على تلك الأسمال التي لففنا بها المولود فاتنسم رائحتها وأشمها، فضحك منها جانكير وسخر من سذاجتها وبلاهتها وقال لها:

-لقد مرت خمسة أعوام فكيف يبقى أثر للأسمال أو للطفل؟.

ويروى أنهما وصلا إلى الصخرة المعهودة فشاهدا بقربها فوهة غار فدخل جانكير الغار وتوغل فيها قليلاً فرأى طفلاً في الخامسة من عمره. وقد ربضت

قدامه أنثى من إناث الوعل فصرخ جانكير يبشرها ويزف الخبر السار. ها هو طفلنا في داخل المغارة وحين التقت عينا زرو بالطفل خرت على الأرض مغشياً عليها أما جانكير فتشبث بالطفل وأخرجه من المغارة وهو يحتج ويتمنع ويصرخ صراخاً كثغاء الغزلان والوعول كأنما يستنجد بأمه الوعلة حاولت الوعلة أن تنجده واقتربت منه ولكن ما باليد حيلة وليس من جدوى.

وقصارى القول: أخذ الطفل إلى بلاد سرحدان إلى قريتهما لكن القرية كانت خاوية على عروشها كما أخبرهما الأسقف وفي اليوم التالي توجها بالطفل إلى قرية من القرى من عشيرة خالدان وهناك أقاما مع طفلهما.

أمير ملان

كان لأحد أمراء "ملان" ضيعتان، يقيم الأمير في أحداهما وهي الواقعة في الشمال. أما الضيعة الجنوبية فكانت في عهدة وكيل عنه "مختار" لإدارة شؤونها وتدبير أمور الأهالي فيها وكان هذا المختار يضطهد القرويين ويحملهم أوزاراً فوق طاقتهم ويسومهم رهقاً ونصباً فضج الجميع من عتوه وجوره وذات يوم رأوا أن يسيروا إلى الأمير ويكشفوا له الحقيقة ليمنع الوكيل "المختار" من تسلطه وجوره، قال لهم الأمير اذهبوا إلى بيوتكم راشدين وابحثوا عن رجل ترضون خلقه وسلوكه وسننصبه عمدة لقريتكم. وأخيراً وجدوا رجلاً وتم تنصيبه مختاراً للقرية وسارت الأمور رخية كما يشتهي القرويون وانقضى عام كامل وكل شيء يسير على خير ما يرام. ثم بدأ العمدة الجديد يعود إلى سيرة عمدتهم القديم من الظلم والعنت والجور حتى أنهم أسفوا على عمدتهم السابق، ولم يجد القرويون في أنفسهم الجرأة لمواجهة الأمير وإبداء تذمرهم مرة أخرى من المختار الجديد مخافة أن يشك الأمير في دعواهم. وفي أحد الأيام ائتمر القرويون وقرروا فيما بينهم أن يحملوا المصابيح والقناديل في كل ليلة ويطوفوا بها في أحياء القرية ويجوسوا بين الدور والمنازل فإذا علم الأمير بأمرهم سألهم عم يبحثون وفيم هذا السعي؟ وعند ذلك سيكون الجواب هيناً وفي المساء بعد أفول الشمس، أضاؤوا قناديلهم وطاقوا بالقرية ذهاباً وإياباً وجاسوا بين الدور والبيوت ورأى الأمير وهو رابض في قصره فاستفزه الفضول وأرسل رجلاً يستطلع جلية الخبر، فرجع ومعه بعض القرويين ليستنطقهم الأمير ويسألهم ماذا يفعلون وماذا يبغون، وحين حضروا إلى مجلس الأمير سألهم: ما بالكم تجوسون كل ليلة بقناديلكم المضاءة خلال ساعات الليل وعم تبحثون وما هي حالتكم؟ فقالوا: أيها الأمير إننا والله نبحث عن "مختارنا" القديم ولم نعثر عليه حتى الآن. فضحك الأمير وقال لهم: اذهبوا وجيئوا بمختاركم القديم وانصبوه من جديد.

علي رمو

كان "علي رمو" سيد عشيرة "رما" وكان قد استقر في سهوب "بشيرية"، ويحكى أن الأتراك نقموا عليه وأعلنوا عليه الحرب واستباحوا دمه ففر إلى سهل "ماردين" واستتب به المقام في أحدى قرى تلك المنطقة. لكنه ظل مجهولاً مغموراً لا يعرفه أحد فكان يدأب على حضور منتدى القرية كل صباح ويجلس في أخربات الناس ولربما تمدد واسند رأسه إلى مرفقه وذات مرة قال القرويون للمختار علي"رمو" بين الجلاس إن ذاك الذي كان يرعى أبقارنا ويهتم بأمرها ذهب لطيته ولم يعد وبقيت أبقارنا دون رعاية فما العمل؟ قال العمدة فلنتريث قليلاً لعلنا نعثر على راع. ثم التفت إلى علي رمو وقال له: ما عملك أيها الفلاح؟. قال علي رمو: لم أعثر على عمل بعد. قال العمدة: إذن أرع البقر وأحصل على قوت يومك دون منة وسيؤدى لك عن كل رأس كيل من الحنطة وكيل من الشعير. فرضي علي رمو بذلك وطابت نفسه وحمل العصا كما يحمل الرعاة.

وفي يوم قائظ من أيام الصيف كان علي رمو يحمل عصاه وهو يلملم شمل دوابه للسير بها إلى المرعى – شاهد ستة أنفار من الجند قادمين من الطريق الشمالي إلى القرية، ولما وصلوا إلى القرية لفت الراعي نظر الضابط "ألأوباشي" وأدرك أنه ليس سوى علي رمو الخارج على القانون، فقال لجنوده اذهبوا إلى المضافة وسوف اتبعكم فيما بعد. ولما ذهب الجند توجه الضابط الى علي رمو وترجل عن حصانه وقال: أهلاً بك يا علي رمو فرد علي رمو ولكنني لست سوى راعي القرية البائس. قال الضابط: يا علي إني أعرفك حق المعرفة فلا حاجة إلى الإنكار وقد أكلنا من زادك فلا بأس عليك منا، وإننا لا نبحث عنك بل باحثون عن سواك. قال علي رمو: أرجوك أيها الضابط أن لا تخبر أحداً بأمرنا حتى أظل نكرة لا يعرفني أحد. ثم ذهب بسوائمه ومواشيه

إلى المرعى وذهب الضابط إلى المضافة وهناك قال للعمدة بعد أن تناولوا طعام قراهم: أتعرف من هو راعيكم؟ إنه ليس سوى علي رمو سيد عشيرة "رما" فامتقع وجه العمدة وشحب لونه ونادى القرويين وقال لهم: أتعلمون أن راعينا هو علي رمو فاهرعوا إليه واطلبوه والتمسوا عفوه وقدموا له الأعذار، فتقاطر القرويون مع العمدة وتوجهوا إليه فأدرك أن الضابط التركي أفشى السر وأذاع خبره وحين وصلوا إليه أطرق العمدة برأسه خجلاً ثم دس رأسه في حضن علي رمو وطفق يبكي وينتحب وقال: يا علي لماذا فعلت بنفسك ما فعلت ولم فعلت بنا ما فعلت؟ لماذا أخفيت عنا شخصك؟ فهون علي رمو الأمر عليه ثم عاد الجميع إلى القرية.

في ذلك اليوم احتفى القرويون بـ "علي رمو" وأكرموه. لكن علي رمو حين ترك المضافة وذهب إلى بيته وقال لزوجته: تهيئي واستعدي للرحيل إلى موطننا وليكن ما يكون. وعاد علي رمو بأسرته إلى سهل "البشيرية" ومن هناك وصلت عنه أنباء إلى الحكومة التركية فألقت عليه القبض وبطشت به.

إن بعد العسر يسراً

يقال أن رجلاً ثرياً واسع الثراء عاش في مدينة "الجزيرة" أيام عهد الأمير "زين الدين" وكانت تجارة ذاك الثري رائجة في بلاد بعيدة كالهند والصين والسند، وذات مرة جلب إلى الصين مالاً للتجارة وبعد أن باع ما معه من متاع ألفى نفسه وقد ربحت تجارته ربحاً جسيماً وبينما كان يطوف في الأسواق شاهد "فنجاناً" من الخزف الفرفوري رائع الصنع بهيج المنظر له من الحسن والرونق ما ليس لهما من نظير، فقد كان مرصعاً بأحجار كريمة من الدر والياقوت والماس، وأخذ التاجر برونق الفنجان وروعته فابتاعه بأربعين ليرة ذهبية وفي نيته أن يهديه إلى الأمير "زين الدين" أمير بوتان وحين وصل إلى موطنه ورست به السفينة على شواطئ دجلة حاول النزول إلى اليابسة فسقط الفنجان من يده وغاص في مياه النهر فامتلأت نفسه كآبة وغماً فاستنجد بغواص حاذق وأشار للغواص إلى موقع سقوط الفنجان وكان في خنصره خاتم ثمين فسقط في الماء، وما لبث الغواص أن غطس في اللج حيث هوى الخاتم فقال الغواص مأخوذاً بالأمر، بعد أن خرج من الماء وفي يده الفنجان وقد رسب فيه الخاتم: ما أسعد نجمك وما أبهى فألك وأحسن جدك. غير أن التاجر حين علم بذلك بكى بكاءً مراً وانتحب وأعول ودعا بالويل والثبور فسأله الغواص: لم هذا البكاء الذي يمزق نياط القلب وقد آب إليك غائبك وعثرت على ضالتك وإني لمذهول لجدك السعيد إذ كيف يسقط الخاتم في الفنجان ولم يجرفه التيار؟

قال التاجر الثري: إني على يقين أن الحدود-اليوم انهارت بين السعيد والشقي وإني أخشى أن أقع في ضنك عظيم.

عاد الثري إلى البيت مذعوراً، خائفاً وجلاً، يتوجس أن يلم به البلاء وتنزل بساحته النوازل، وغب مرور ثلاثة أيام ذهب إلى الأمير "زين الدين"- أمير

بوتان وأهداه الفنجان فسر الأمير بالهدية سروراً بالغاً وبعد يومين أحب الأمير أن يتباهى بالفنجان الرائع أمام أحد وزرائه و "بكوعوان" فدعاهما إلى احتساء القهوة فشرب الجميع القهوة بالتناوب: الواحد تلو الآخر من الفنجان الظريف.

ضحك "بكوعوان" عند ذاك فقال الأمير: ما سبب هذا الضحك يا "بكوعوان"؟. قال: إن الرجل الذي أهداك الفنجان أراد أن يستهزئ بك واستخف بمقامك لأن نصاب الفناجين أثنا عشر فنجاناً "دزينة" أو ستة فناجين في الحدود الدنيا وهذا الرجل لم يأتك إلا بفنجان واحد فإذا شرب أحدهم مكث الآخر ينظر إلى الفنجان منتظراً دوره وفي ذلك عار وأي عار.

صدق الأمير مقالة "بكوعوان" وأرسل من أحضر التاجر وحين مثل بين يديه قال له: نأمرك أن تأتينا بخمسة فناجين أخرى من هذا الطراز وإني أمهلك شهوراً ثلاثة وإلا صادرت كل أموالك وممتلكاتك.

أعد التاجر البائس على كره منه عدة الرحلة وسافر إلى بلاد الصين بحثاً عن تلك الفناجين... وهناك طلب الفناجين في مظانها وغير مظانها. لم يترك باباً دون أن يطرقه لكنه لم يعثر على ضالته وباء بالخيبة والخذلان وعاد إلى بلده بخفي حنين يحدوه القلق ويهزه الاضطراب وحين دخل قصر الأمير كان خالي الوفاض. أصدر الأمير قراراً بمصادرة أموال التاجر المنقولة منها وغير المنقولة وختمت الدولة على محلاته ودوره بالشمع الأحمر. وألقي به في غيابة السجن دون أن يقترف ذنباً- وأمضى في السجن عاماً كاملاً.

في صبيحة أحد الأيام قدمت للسجناء وجبة الفطور، لكل سجين صحن من الطعام الحساء وكان في السجن كلب لمدير السجن فتقدم من صحفة التاجر وبال عليها فنظر السجناء إلى الكلب نظرة ازدراء وأسفوا لحال الرجل. لكن التاجر استقبل فعلة الكلب برحابة صدر وببالغ المسرة والفرح وأدرك أن البؤس قد بلغ أوجه وأن الفرج قاب قوسين أو أدنى.

وفي اليوم التالي أبلغ زوجته كي تحضر وحين حضرت قال لها: اذهبي إلى صديقنا ذاك واستديني منه بعض الليرات الذهبية وابتاعي كلساً وبيضي دورنا لتكون كعهدنا بها. وذهبت الزوجة إلى الصديق واستدانت منه مالاً وكلفت رجالاً لتنفيذ تلك المهمة على أكمل وجه. ولما علم الأمير بما جرى غضب من جرأة التاجر فأحضره بين يديه ووبخه:

-من ذا الذي أذن لك بما فعلت؟ ألم تعلم أننا كنا طلينا منزلك باللون القاتم وأضفينا عليه طلاء الحزن؟.

حدثه التاجر الثري بكل ما جرى له منذ البداية وحتى النهاية فأصدر الأمير عفواً عن التاجر وأعاد إليه أمواله وممتلكاته واعتباره.

التمر

كان أحد التلاميذ يتعلم لدى الكتاب "الملا" تلاوة المصحف الشريف، وكانت أمه تنفحه كل صباح بحبات من التمر ثم تذهب لشأنها وتصريف أمورها حتى إذا نفد التمر وخلا منه البيت قال التلميذ وقد استاء من فقدان التمر: لا بد من أن تحصلوا لي على تمر ودأب الصبي على الخصومة كل صباح بسبب التمر ثم يذهب إلى "الكتاب" وذات يوم ذهبت أمه إلى "الملا" وقالت له:

-يا مولانا... ولدنا هذا تلميذكم يخاصمنا كل يوم من أجل التمر وقد نفد تمرنا وخوت منه أو عيتنا ولا نملك حيلة للحصول عليه وإني أتوسل إليك أن تحاول إقناعه بأسلوبك الخاص كي يكف عن مضايقتنا ومطالبة التمر لأن هذا الطلب مطلب عسير المنال.

قال الملا:

-لا بأس سأقنعه بعد مرور شهر.

مر شهر كامل على هذا المنوال والصبي لا يكف عن طلبه وحين اكتمل الشهر ثلاثين يوماً كف الصبي عن طلبه.

وذهبت الأم فرحة بهذا التحول الغريب فقد نسي الصبي ولم يعد يذكره. ذهبت إلى الملا وقالت له:

-لماذا لم تطلب من تلميذك أن يتخلى عن رغبته إلا بعد مرور هذه الفترة؟.

قال الملا ضاحكاً:

أختاه... لقد كنت في حالة مثل حالة ولدك أشتهي التمر وأواظب على أكله وكنت كلما نفد التمر خاصمت ولدي وطالبته بإلحاح أن يأتيني به ولكني- حين

جئت إلي وتحدثت بحديث ولدك استطعت أن أصوم عن التمر وأرجع عن مسلكي بعد طول مكابرة وعناء.

ولقد مر شهر كامل حتى استطعت أن اقلع عن عادتي تلك. وعند ذاك حدثت ولدك بصدد التمر فكان لكلامي وقع حسن على نفس الصبي وتقبله راضياً، فلو إنني كنت مواظباً على التمر آكله كل صباح لما كان لنصحي هذا المبلغ من التأثير عليه.

بطيخ "بات"

"بات" قرية كردية تقع في الشمال من كردستان، تشتهر بزراعة الثمار الموسمية لبطيخها سمعة حسنة والناس –إذا أثمرت نبتة البطيخ اختاروا نبتة معينة وقطفوا جميع ثمارها قبل أن تكبر وتنضج وتركوا في كل نبتة ثمرة بطيخ واحدة ولم يتركوا سواها ثم أتوا بجرة كبيرة فخارية ووضعوا فيها الثمرة الصغيرة وجعلوا الجرة منكفئة على فوهتها، فتكبر الثمرة يوماً بعد يوم حتى تستغرق حيز الجرة جميعاً وتصبح بحجم الجرة وشكلها. وفي أواخر الخريف يقطفون تلك الثمار ويأتون بها وهي ضمن جرارها إلى بيوتهم ويضعونها في غرفة مفروشة بتربة حمراء على فوهاتها وفي فصل الشتاء يذهب بها أصحابها إلى المدينة ويبيعونها مع الجرار بأثمان مجزية.

ويحكى أن رجلاً أهدى بطيخاً إلى والي تلك البلاد، فدخل أيوان الوالي ووضع البطيخ على مائدة كانت هناك، وكان في مجلس الوالي بعض المساجين قد جيء بهم للمحاكمة ولما رأى البطيخ فرح بالهدية فرحاً لا حد له وقال لصاحبه: سأهتم بك بعد الانتهاء من محاكمة هؤلاء الناس.

مكث صاحب البطيخ حتى انتهت الجلسة وأمر الوالي بإعادة الجميع إلى السجن فاقتاد الجند كل من كان هناك ومنهم صاحب البطيخ رغم احتجاجه وادعائه بأنه ليس من المتهمين وأنه جاء زائراً وأن وجوده بينهم ليس إلا بسبب الهدية.

وبعد مرور ستة أشهر أعيد السجناء إلى الديوان للنظر في أمورهم ولما انتهت المحاكمة سأل الوالي صاحب البطيخ وقال له:

-وأنت ما شأنك أيها الرجل؟ وما هي جنايتك؟.

قال صاحب البطيخ:

-سيدي إن ذنبي عظيم... فأنا صاحب البطيخ.

عندئذ تذكر الوالي كل شيء فندم على ما جرى للتاجر وأسف لحاله واعتذر إليه وأمر جندياً أن يذهب بالرجل إلى خزينة الدولة ليأخذ منها ما يشاء، وإلى مستودع الذخيرة ينال منه حاجته من السلاح الذي يرغب ويريد، ولما ذهب الرجل إلى الخزينة تناول مجيدياً واحداً وفي مستودع الذخيرة أمسك فأساً أخذها، ولما مثل بين يدي الوالي رأى الوالي أن الرجل لم يأخذ سوى مجيدي من الخزينة، ومن المستودع سوى الفأس، فسأله:

-لماذا اكتفيت بمجيدي واحد وفأس؟ قال الرجل:

-سيدي... في السجن كنت استدنت مجيدياً: من أحد السجناء فأردت أن أوفيه دينه وابريء ذمتي تجاهه وأخذت هذه الفأس لأجتث بها جذور تلك النباتات التي أثمرت هذا البطيخ الذي كان سبباً لمكوثي في السجن شهوراً ستة.

طرائف كردية

الجزء الثاني

كهف الجان

مَعْسَرتْ أو Mehsert اسم لقرية كبيرة في زمن غابر وهي الآن مدينة صغيرة في شرق مدينة "ماردين" قريبة منها عن كثب. وتروي الحكايات الشعبية قصصاً عن كهف في غرب تلك القرية مَعْسَرتْ يأوي إليه أطياف من الجان والسعالي والغيلان والمردة فكان الناس يحذرون دخوله ويخشون الاقتراب منه، وفي آناء الليل كانت أصوات الغناء والطرب تصدر منه.

وفي تلك الأيام كان رجل أحدب يدعى سلو يعيش في القرية، فكان بسبب عاهته يسخر منه الأطفال ويستهزئون به ويجرون وراءه حتى كَره حياته البائسة، فوطّن نفسه على أمر وأخفاه عن الناس.. لقد عزم على الانتحار خلاصاً مما يلقى من هزء الأطفال وعبثهم وإيذائهم... ولكن كيف؟

وبعد إمعان فكرٍ وتأمّلٍ صمم على دخول الكهف المسكون الآهل بالمخلوقات الغريبة من المردة والعفاريت والغيلان فإذا أحست بوجوده بينها قتلته وأنهت أيام حياته البائسة.

وَفي إحدى الليالي، وكان الأطفال قد عبثوا به كل العبث، وأغاظوه كل الغيظ- تسلل من القرية وأمَّ شطر الكهف، فلما دنا منه دنواً كبيراً وصار منه قاب قوسين أو أدنى اندس بين سكان الكهف دون أن يشعرهم بحركته لأن القوم كانوا في شغل شاغل عنه، يقيمون المباهج والأفراح ويعقدون حلقات الرقص كدأبهم كل ليلة حتى الهزيع الأخير من ساعات الليل.

ركد سلو في مكانه أمداً وهو يصغي إلى أغنياتهم وقد ذَهل عن نفسه، ولما استفاق من ذهوله اقتحم جمع الراقصين وانتظم في حلقة الرقص وشرع يردد معهم أغنيتهم الغريبة وهو في رأس الحلقة:

إنما الدنيا أزمنة وأيام؛

السبت والأحد والأربعاء

تعالى يا حبيبي.. هيا أخطبني

فأنا عاشقة قدك الأهْيَف

كان صوت سلو شجياً عذباً رخيماً فاستجابت له مشاعر الراقصين، واستخفهم الطرب فانتشوا وفرحوا فرحاً عظيماً لا عهد لهم به. وأثار دهشتهم أيضاً حركاته الرشيقة ووثبه فأعجبوا به كل الإعجاب.

ولما أشرف ضوء الفجر على البزوغ، تركوا ما كانوا فيه من الابتهاج والسرور وأحاطوا بهذا الدخيل الغريب سلو الأحدب، وتساءلوا في ما يليق بهم أن يفعلوا بهذا الذي زاد إلى سعادتهم سعادة أخرى، واختلفت الأقوال والآراء وفي خاتمة المطاف قالوا:

-لن نجد مكافأة أعظم من شفائه من حدبة ظهره البشعة.

وفي الحال. أستدعي الطبيب وأزال الحدبة من ظهر سلو وسرعان ما شفي وغدا رجلاً مستقيم الظهر سوّياً ليس به سوء. ثم نفحوه ببعض الهدايا وعبروا له عن سرورهم بوجوده بينهم وسألوه أن يزورهم متى شاء.

وفي الصباح الباكر عاد إلى القرية وقد امتلأت نفسه سعادة وسروراً ولما رآه الأطفال وأرادوا أن يعبثوا به وقد اعْتَدَلَتْ قامته لم يصدقوا أعينهم وحسبوه شخصاً آخر فتركوه وشأنه.

وكان –أيضاً- في القرية شخص آخر أقعس[٤]. فلما شاهد الأحدب وقد زال عنه ما كان به من سوءٍ وغدا رجلاً سوّياً في تقويم حسن سأله عن هذا الانقلاب العجيب وعن المعجزة التي أبرأته من عاهته تلك. فتحدث له سلو عما كان من

[٤] - الأقعس: من خرج صدره ودخل ظهره خلقه.

أمره في الكهف. وروى له حكايته بحذافيرها ولم يهمل شاردة أوْ واردة. فطمع الأقعس في زوال بروز صدره، وسوّلت له نفسه أن يمضي إلى الكهف متى حلت ساعات المساء.

وفي إحدى الأمسيات استجمع رباطة جأشه وشجاعته وخرج إلى ظاهر القرية لا يلوي على شيء ولما وصل إلى الكهف ولجه دون استئذان أو وجل. وأقتحم حلبة الرقص وانضم إلى حلقة الراقصين والراقصات. كانت المطربة تشنف الآذان بأغنيتها المألوفة:

إنما الدنيا أزمنة وأيام؛

السبت والأحد ، ثم الأربعاء

هلمّ إليَّ يا حبيبي.. واطلب يدي

فأنا عاشقة قدك الممشوق.

ولكنّ الرجل الأقعس لم يطق صبراً على هذا الخطأ فهبّ صارخاً:

-" كلا.. والصواب هو: السبت والأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء".

إلا أن المطربة لم تبال به وثابرت على أداء غنائها.

ولكنّ صاحبنا الأقعس عاد إلى الاعتراض والاحتجاج وقال:

-" ليس الأمر هكذا... الأيام في الحقيقة هي السبت والأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء فلماذا الإصرار على الخطأ؟؟ إنما الرجوع عن الخطأ فضيلة".

واظبت المغنية على إنشادها وواظب الأقعس على انتقاده.

ولما تكررت هذه الحالة استاءت المطربة من تطفل هذا الرجل الدخيل وكفت عن الغناء.

وانقطع صوت المزامير والطبول وانحلّت عقدة المجتمعين.

وهكذا أفسد الأقعس على القوم مسرتهم فجاءوا به وتشاوروا في شأنه وفي ما يستحق من جزاء. ثم قرروا بالإجماع أن يضيفوا إلى ظهره حدبة سلو عقوبة على ما اقترفه بسوء تصرفه وتطاوله وتدخله في مالا يعنيه. ثم طردوه شر طردةٍ وقالوا له:

-" إياك أن تفكر في العودة إلينا وإلا لقيت منا شراً مستطيراً وجلدنا بك الأرض".

عاد الأقعس ملوماً محسوراً، وقد غدا أقعس أحدب وكان يرجو أن يبرأ من قعسه فجلب لنفسه عاهة أخرى، وجعل يندب جده العاثر لأنه تدخل في أمر لم يكن يعنيه.

السارق الذي سرق ثور جاره

سُرق ثور أحد القرويين، فساء ظن صاحب الثور بجاره الذي كانت له سوابق في "حرفة" السرقة. وفي الصباح الباكر ذهب إلى بيت جاره ولما التقى به وجهاً لوجه صارحه بسوء ظنه واتهمه بسرقة الثور علانية إذ قال له:

-"أيها الجار الفاضل... معذرة... فإنني ارتاب في أمرك ولا أحسبك إلا سارق ثوري الليلة البارحة فاردده إليّ غفر الله لك، وسأكتم هذا السر ولن أخبر به أحداً.

فتظاهر الجار بالسخط ومحاولاً أن يدفع التهمة عن نفسه وقال:

-بأيّ حقٍ تتهمني .. وما دليلك؟ إن استطعت إثبات ذلك فافعل... وسوف اقسم لك أنني لم اسرق ثورك وما فكّرت في ذلك قط ومتى كان الجار يسرق مال جاره؟.

قال صاحب الثور:

-حسنٌ... إن كنت مصراً على إنكارك فهيّا بنا نذهب إلى ضريح "الشيخ جبر"[٥] وهنالك ستقسم لي أنك بريء من سرقة ثوري.

فقال الجار المتهم:

-" لا بأس... إنني طوع رغبتك، وسوف أمضي معك متى شئت.

---

[٥] - ضريح "الشيخ جبر" موجود في قرية تل شعير القريبة من مدينة القامشلي. المترجم

وفي صبيحة اليوم التالي كانا متأهبين للخروج، فانطلقا سيراً على الأقدام ولما أرهقهما الجوع والسفر الطويل عرجا على قرية قريبة لينالا بعض الراحة وشيئاً من طعام.

كان الوقت بعد الظهيرة عندما دخلا داري قروي يُدعى سينو استقبلهما بكثير من الفتور والإهمال ولم يكد يلتفت إليهما، فجلسا متجاورين يرتاحان من وعثاء الطريق الطويل، ينتظران أن يأتيهما صاحب الدار بطعام يسد جوعهما ويقيم أوَدَهما. ثم ما لبث صاحب الدار أن جيء بصحفة من حساء العدس وضِعتْ بين يديه مشفوعة برغيفين من خبز التنور وإبريق ماء وبصل، فطفق يأكل طعامه منكباً عليه وقد جحظت عيناه واتسعت خياشيمه دون أن يرفع رأسه أو يلقي نظرة على ضيفيه حتى أتى على الحساء برمته وعبّ ماء الإبريق رفعت السفرة. فاضطجع ومدّ رجليه باتجاه الضيفين، مضيقاً عليهما المكان فنهضا يائسين بائسين وخرجا لاستئناف رحلتهما إلى قرية "تل شعير" حيث مرقد الشيخ جبر.

وبعد أن سارا هنيهة استوقف صاحب الثور جاره المتهم بسرقته وقال له:

-لا حاجة بنا إلى الرحيل إلى "الشيخ جبر".. دعنا نحسم الأمر ها هنا.

قال الجار:

-وكيف يكون الحسم؟.

قال صاحب الثور:

تقول: "لِأكُنْ لئيماً مثل سينو إن كنت سرقت الثور أو كنت اعرف عنه شيئاً".

فقال الجار:

-" هذا لا يكون أبداً وما دام القسم قد بلغ هذا المبلغ فإني أقر واعترف... إن ثورك في حوزتي بأمان وسأعيده إليك فلنعد إدراجنا... ولن أدعو على نفسي بهذا الدعاء".

فقال صاحب الثور:

-مادمت شهماً تأبى أن توسم باللؤم فإني أهبه لك ونفسي راضية.

ولما عادا إلى القرية أخذ الجار السارق برسن الثور وسار به إلى بيت صاحبه وسلمه إليه وأبى أن يأخذه واعتذر إليه وآلي على نفسه أن يكون رجلاً صالحاً ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

لا يدوم ظلم لغاشم وعقبى الظلم وخيمة

كانت –فيما مضى- حديقة "بدرخان بك" الشهيرة زاخرة بالأشجار المثمرة.. مزدانة بأحواض ومزهريات الورود والأزهار.. فيها جميع الثمرات وكل أجناس الزهور والرياحين.. تحلق في فضائها البلابل والعنادل.

في تلك الفترة من السنة كان الخولي "البستاني" القيم على الحديقة ينتظر يوماً بعد يوم أن تتفتح براعم الورود ليقطفها ويؤلف منها باقة من باكورتها ليهديها إلى الأمير...

وفي مدة وجيزة أينعت الثمرات وتفتحت براعم الورود والزهور فدخل الخولي بين الأشجار فوجد طائراً قد عاث فساداً في الحديقة وبعثر أوراق الورود ونقر الأزهار فعاد خائباً دون أن يجني شيئاً ليقدمه إلى الأمير وأرجأ تقديم الهدية إلى يوم آخر وفي أحد الأيام عندما زار الأمير الحديقة سأل الخولي عن أحوالها فقال:

- إنها على أحسن حال... وقد كنت أرغب في جلب باقة من الورود اليكم إلا أن طائراً أرعن كان سبقني إليها فعاث فيها وأتلفها.. فقال الأمير:

-سوف يلقى الطائر جزاءه.

وفي اليوم التالي رأى الخولي رأس الطائر في فم ثعبان اسود "حنش"... فقال الخولي شامتاً:

-ها قد نلت جزاءك.

ولما التقى الخولي بالأمير في يوم آخر قال له:

-أيها الأمير لقد عوقب الطائر على فعلته والتهمه الحنش. فقال الأمير:

-لا ريب أن الحنش سيلقي جزاءه.

وبعد ذلك، في اليوم التالي، بينما كان الخولي يتفقد أحوال الحديقة شاهد الثعبان يزحف نحو أفحوص[٦] طائر فبادره بضربة من رفش كان بيده وجز رأسه وقضى عليه، وبينما كان الأمير –ذات مرة- يتنزه في البستان ذهب إليه الخولي وقال له:

-يا أميري... لقد قتلت ذلك الثعبان. فقال له الأمير:

-أنت أيضاً ستلقى جزاءك.

ثم أمره الأمير قائلاً:

-عليك أن تغيب هذا اليوم عن الحديقة فإن النساء سيحضرن اليوم للاغتسال في البركة.

إلا أن نفس الخولي الأمارة بالسوء زيّينت له رؤية نساء الأمير عاريات فصعد شجرة قريبة من بركة الحديقة واختبأ بين أفنانها ولما حضرت شقيقات الأمير وبناته وزوجاته واقتربن من البركة شاهدن صورة الخولي المنعكسة على صفحة الماء فصرخن وقلن:

-إن شخصاً ما يراقبنا.

وعندما علم الأمير بما كان من أمر الخولي أمر بضرب عنقه فقال له الخولي:

-أنت أيضاً يا مولاي ستلقى جزاءك.

آنئذ خامَرَ الأمير الوجل والخوف وخشي أن ينال عقاب جراء ظلمه فقال:

-دعوا الخولي وشأنه فقد عفوت عنه.

[٦] - الأفحوص: هو العش أو الوكر الذي يتخذه الطائر على أديم الأرض.

كيد النساء العجائز

يقال إن امرأة طاعنة في السن، ليس لها أهل تقيم في كوخ بائس في "ماردين".

وكان لهذه المرأة العجوز جارٌ ثري واسع الثراء يقال له "حيدرو"، ولم يكن هذا الجار ليبالي بها أو يلتفت إلى عوزها وفقرها فلا يقدم لها عوناً أو يبذل لها معروفاً.

فكرت المرأة طويلاً وقلّبت المسألة على وجوهها ثم قرّ قرارها على أن تحتال لها وتجد مخرجاً من هذه الفاقة وهذا البؤس والحرمان وتذكرت جارها الغني الذي لم يشفق عليها مرة واحدة، وكأنها ليست جارته. وبعد طول تأمل وإمعان فكر تفتق ذهنها عن الحيلة التالية وهي تقول في نفسها: إن تقاعست في السعي والتدبير هلكت جوعاً وسغباً.

في باكورة الصباح تأهبت وخرجت إلى ثكنة عسكرية وقابلت الضابط الكبير ووضعت قضيتها بين يديه قائلة:

-سيدي الضابط... إني امرأة قد وهن العظم مني، أعيش في فقر مدقع ولي ولد عاق لا يبالي بي وقد أهملني إهمالاً ذريعاً، ولا أجد ما اتبلّغ به ويسد جوعي ويحفظ عليّ الرمق... وقد ألقاني في كوخ ليس فيه طعام أو شراب. إنه ابني الجائر العاق "حيدرو" الذي لا تأخذه بي رحمة أو رأفة وقد نبذني من فكرهِ وكأنني لست أمه التي أرضعته وربته حتى صار فتى يافعاً ثم رجلاً صاحب ثراء... وهو يزعم أحياناً أنني لست أمه وليس هو إبني...

وفي الحال أرسل الضابط وكان شركسياً جنديين جاءا به فلما مثل "حيدرو" بين يدي الضابط قال له حانقاً:

-حيدرو... هذه والدتك المسكينة جاءت تشكو إلى من عقوقك وسوء معاملتك.

فالتفت "حيدرو" إلى المرأة وقال لها:

-أيتها العجوز متى كنت ولدك وأنا لا أعرفك من قريب أو بعيد.

ثم توجه بحديثه إلى الضابط قائلاً:

-سيدي الضابط... هذه امرأة لا أمت إليها بأية صلة.

فلما سمع الضابط كلام "حيدرو" وإنكاره إنهال عليه بالسياط.

فقال "حيدرو" بعد أن ذاق لذع السوط:

-كفى... إنها أمي...

فقال له الضابط:

-إياك والكذب مرة أخرى... فاحملها الآن وأرفق بها وإلا كان عقابك عسيراً.

فحمل "حيدرو" المرأة الغريبة على ظهره وسار بها، فلما رآه بعض أصحابه استغربوا ذلك وسألوه عن المرأة. فقال لهم:

-إنها أمي. فقالوا له:

-ومتى خرجت من قبرها وقد ماتت منذ عهد بعيد كما نعلم.

فقال لهم:

-إنْ كنتم غير مصدقين فاسألوا الضابط لعلكم تصدقون.

رنين الكأس

في أحد الأيام بينما كان مجلس أمير "بوتان" حافلاً برجال الإمارة طلب شراباً فلما رفع الوزير الكأس إلى يد الأمير سقطت الكأس على الأرض وتناثر الشراب على ثياب الأمير وصدر من الكأس المعدنية رنين فقال الأمير ساخطاً من فعلة الوزير:

-قل لي الآن ماذا قالت الكأس حين رنت... قسماً برأس أبي إن لم تخبرني أمرت بضرب عنقك، وإني أمهلك حتى غداة غدٍ.

حار الوزير ولم يدر بم يجيب. فخرج وهو مهموم كل الهم وحزين كل الحزن فلما وصل إلى البيت رأته ابنته واجماً كئيباً على غير عادته فسألته عما رابها من هذا الوجوم وهذه الكآبة، فروى لها ما جرى له في مجلس الأمير وأن الأمير أَوْعَدَهُ بضرب عنقه، فقالت له:

-أبتاه ذاك أمر هين فلا تحزن... ومتى حضرت مجلس الأمير فقل له: إن الكأس حين سقطت ورنّت قالت: "في البدء كنت ذرات مبعثرة في تربة الأرض فجاء أحد الناس وأخذ قسطاً من التراب فغربله ثم غسله واستخلص هذه الذرات ثم طرحها في قعر بوتقة ثم وضع البوتقة في أتون متأجج، حامي الوطيس، حتى انصهرت الذرات واندمجت، وغدت سائلاً فسكب السائل في قالب وصبر عليه حتى برد ثم تناوله بملاقطه وعرضه لنار الكير فلما حمي واحمرّ انهال عليه بالمطارق حتى رققه وصنع منه كأساً ثم طلاها بالذهب وموّهها بالفضة ورصعها باليواقيت لتتشرف بملامسة شفاه الكرام والأمراء.

وفي اليوم التالي حين عُقد مجلس الأمير حث الوزير الخطا وأخذ مجلسه في مكانه المألوف. فلما رآه الأمير سأله قائلاً:

-ماذا وراءك أيها الوزير؟.

-أرجو أن يطيب الأمير نفساً فقد جئت بحديث الكأس...

ثم طفق الوزير يروى للأمير ما تعلمه من ابنته فسرّ الأمير بجوابه. وقال له:

-هذا صحيح ولكن من أخبرك بذلك؟

قال الوزير:

-تعلمت ذلك من ابنتي يا مولاي الأمير.

ثم ان الأمير أعجب بذكاء الفتاة وجمالها فخطبها لابنه وزوجه منها.

الغريب لا يكون لك بصاحب إلا إلى حين

يحكى أن أحد أمراء الأكراد وأحد وزرائه خرجا متنكرين في ملابس العامة من الناس، يتجولان في أنحاء المدينة لتفقد أحوال الناس فوجدا رجلاً طاعناً في السن جالساً على الأرض في ركن منعزل في السوق أمامه ثلاثة أكوام صغيرة من التراب فتقدما منه وسألاه عن شأن هذه الأكوام من التراب فقال:

-في كل كومة عظة وحكمة جئت أعرضها للبيع.

فقال الأمير:

-بكم تبيع الكومة؟.

قال الرجل:

-كل كومة بليرة ذهبية.

فدفع له الأمير ثلاث ليرات ذهبية وتناول أكوام التربة ثم قال له:

-ها قد ابتعنا بضاعتك فبين لنا مغزى كل كومة واكشف سر الحكمة فيها.

قال الرجل:

-تقول الكومة الأولى: تباً لامرئ اتخذ الغريب صاحباً، وتقول الثانية هان من أودع زوجته سراً خطيراً. وتقول الثالثة: ويل لمن خالط الأمراء وأصحاب السلطة واطمأن إليهم وظن أنه آمنٌ من شرهم.

وعندما عاد الأمير ووزيره إدراجهما وذهب كل منهما إلى داره عنَّ للوزير أن يتأكد من صحة الموعظة الأولى.

في ذلك العهد كان الناس يحتفلون في الأول من شهر أيلول بمهرجان كاحتفالهم بأعياد النيروز في الحادي والعشرين من شهر آذار حيث تعتدل الحرارة وتتساوى ساعات الليل والنهار في هذين العيدين.

ففي العيد الأول وهو مهرجان "الكبش" يتبارى الناس بعرض أفضل ما لديهم من "الكباش". وكان الأمير قد اقتنى حملاً جَسِداً وغذّاه وخضّب صوفه بالزعفران ووضع الجلاجل وأطواق الخرز في عنقه وأعده لهذه المناسبة. وكان الوزير قد آلى على نفسه أن يختبر الحكمة الأولى ويمتحن إخلاص زوجته له فكلف أحد رجاله بسرقة حمل الأمير وأخفاه في مكان منعزل بعيد عن الأنظار. وفي عشية العيد أمر الوزير خدم المنزل أن يأتوه بذبيحة ويعدوا له عشاء. فلما التقى الوزير بزوجته على مائدة العشاء قال لها:

-كنت قد أمرت أحد رجالي أن يأتيني بحمل الأمير فجاء به وها نحن نتعشى به فاكتمي هذا الأمر.

وبعد أن تناولا طعامهما تكلّف الغضب وأظهر لها أنه ناقم عليها وذكر لها حجة واهية ثم صفعها وقال: اذهبي والحقي بأهلك. فصرخت زوجته مولولة وخرجت إلى الشارع وهتفت في الناس أن زوجها الوزير ذبح "كبش" الأمير وتعشى به وهو يحاول الآن أن يقتلني كي يبقى هذا السر مكتوماً.

فلما وصل النبأ إلى الأمير أمر بإحضار الوزير واصدر عليه حكماً بالإعدام دون ان يستنطقه ويتأكد من صحة النبأ ولم يتحرك أحد من أصحاب الوزير وزملائه للدفاع عنه والتماس العفو من الأمير.

وكان للوزير فتى بائس يمتُّ إلى الوزير بصلة القربى ولم يكن الوزير كثير الاهتمام فلما سمع بالخبر خرج يحث الخطا واقتحم قصر الأمير وقال: أنا الذي سرق "كبش" الأمير وأكل لحمه، والوزير بريء من هذه التهمة.

وعندئذ جيء بالوزير مصفداً في أغلاله فروى الوزير ما جرى له مع زوجته لامتحان وفائها. وأن الكبش في حرز أمين وليس به أيّ بأس.

ومنذ ذلك اليوم ترك الوزير منصبه في الوزارة وقد صحّت لديه عظة الرجل، فها هي زوجته تتخلى عنه وتحاول الانتقام منه وها هم أصحابه وخلانه تركوه ولم يبالوا بما آل إليه أمره. وها هو نسيبه البائس يعرّض نفسه للهلاك لينقذ الوزير.

الرجل الخبير بالتبغ

يُروى أن إبراهيم آغا الملي كان في صبيحة أحد الأيام جالساً مع زوجته في جلسة ودية هادئة يدخن غليونه باستمتاع ثم ما لبث أن وصل إلى المجلس رجل مدمن على التدخين وجلس دون حذر أو تكلف ثم التمس من إبراهيم آغا أن يعبئ له غليونه. فتناول إبراهيم آغا غليون الرجل وشرع يحشوه بقليل من تبغ منطقة "خورس= Xurs" ثم بقليل من تبغ منطقة "موش" ثم أيضاً ببعض من تبغ "سليفا" ثم أعاد الأمير الغليون إلى ضيفه وطفق الضيف يشعل غليونه ويطلق نفثاً من الدخان بتلذذ عميق.

قال إبراهيم آغا في نفسه: "سوف أختبر هذا الرجل فإن كان مدمناً حقيقياً فسوف أرحب به كلما جاء إلينا وإلا طردته شر طردة. فلما طفق الرجل ينفث الدخان سأله إبراهيم آغا قائلاً:

-كيف وجدت التبغ يا صاحبي. قال الضيف:

-إنني الآن في سهوب سليفا. وبعد هنيهة سأله الآغا:

-إلى أين بلغ السير؟. قال الرجل:

-إني قريب الآن من تخوم "موش".

وبعد أن أحرق الرجل ثلثي التبغ عاد إبراهيم آغا إلى القول:

-وأين مكانك الآن في هذه الرحلة؟. قال الرجل:

-الآن وصلت إلى منطقة "خرس" الوسطى.

عندئذ أدرك إبراهيم آغا أنّ ضيفه مدخنٌ حقيقي وأعجب بملكته في تمييز أجناس التبوغ ومعرفتها معرفة جيدة.

حمو وعلو

كان "حمو" و "علو" شقيقين، وكان لـ"حمو" ابن يدعى "زلفو"، وكان "زلفو" فتىً خاملاً، غافلاً. وكان لـ "علو" أيضاً ابن يدعى "ميرزا" ولكنه كان غلاماً ذكياً نابهاً، لبيباً.

وذات يوم –في محفل من المحافل- جرى حوار مفاخرة بين حمو وعلو، فزعم حمو أنّ ابنه هو الأكثر فطنة ونباهة وزعم علو أن ابنه هو الأذكى والأكثر ذكاء، ولما تطاول الخلاف بينهما اتفقا على اختبار ذكاء الصبيين.

استدعى علو ابنه ميرزا فلما حضر أمره بالذهاب إلى مزرعته لجلب بعض عناقيد العنب بعد أن يمتطي فرسه للذهاب إلى هناك. فامتثل ميرزا لمشيئة والده وخرج.

بعد مرور عدة دقائق توجّه علو إلى الحضور بقوله:

-"لقد ذهب ميرزا إلى البيت.... وكان كلما مرت اللحظات يقول: حمل ميرزا السرج ووضعه على ظهر الفرس... تناول ميرزا الخرج ثم وضعه على السرج.... امتطى ميرزا الفرس... وصل إلى الكروم.... قطف بعض العناقيد ودسها في الخرج.... ركب ميرزا الفرس مرة أخرى ليعود أدراجه إلى البيت.... إنه الآن قائم لدى باب المجلس... فلتذهبوا لتناول خرج العناقيد من يده.

نهض أحد الجالسين وخرج فوجد ميرزا قائماً لدى الباب وفي يده وعاء العنب.

فكان الأمر كما وصف والده منذ أن غاب إلى أن حضر.

وحمو أيضاً أرسل في طلب ابنه زلفو فلما أتى قال له:

-يا بني... إذهب وامتطِ حصانك وامضِ إلى الكروم واجلب لنا عنباً.

فقال زلفو:

-أمرك مطاع يا أبي.

فلما خرج زلفو قال والده حمو كما قال علو والد ميرزا:

-ذهب زلفو إلى البيت... مكث برهة... وضع السرج على ظهر الحصان واعتلى السرج... وصل إلى وسط الكروم... قطف العنب... وضعه في الخرج... وضع الخرج على ظهر الحصان... ركب حصانه وتوجه إلى البيت... ها قد وصل إلى القرية... إنه الآن يصل إلى باب المجلس... إنه قائم هناك... فلينهض أحد ليتناول الخرج من يده.... بادر رجل في المجلس إلى الخروج من المجلس فرأى زلفو واقفاً هناك كالحائر فقال له:

-أين العنب الذي أتيت به...

فأجاب الفتى:

-أرجوك يا سيدي أن تسأل والدي عن المكان الذي أستطيع أن أعثر فيه على عنان "رسن" الفرس.

الأمير والوكيل

كان أمير "بوتان" قد أتخذ قيّماً لإدارة أمواله وعقاراته ومزارعه يدعى "شيركو".

كان هذا الوكيل يبذل قصارى جهده في إنماء أموال الأمير ورعاية ممتلكاته ودوابه ومواشيه. فأحبه الأمير لإخلاصه وأمانته فقرّبه منه وأكرمه.

إلا أن بعض الحساد والحاقدين لم يدعوا الوكيل وشأنه وأرادوا أن يكيدوا له لدى الأمير.

فقالوا له:

-أيها الأمير... أما علمت أن وكيليك شيركو قد أساء الأمانة وغدر بك.. واستولى على أموالك. ولم يبق على شيء من مقتنياتك. فلما سمع الأمير ذلك لم يصدق أذنيه...واستبعد أن يخونه شيركو وقد سبر أحواله وعرف صدقه. إلا أنه أراد أن يستيقن مما أُلقي في سمعه فامتطى جواده وخرج في كوكبة من فرسانه...

كان الأمير كلما بلغ قرية أو شاهد بستاناً أو رأى سوائم وأنعاماً سأل الناس عن صاحبها إنها للوكيل شيركو فعاد الأمير وقد امتلأ غيظاً مما سمع وآلى على الانتقام من شيركو الذي كان موضع سره وعيبة ثقته وأمانته، فأرسل في طلبه وحمّله كتاباً "رسالة" إلى "سعدون كركري" كتب فيه: "إذا وصل إليك حامل الكتاب فاقتله".

عندما قرأ سعدون الرسالة وفهم فحواها التفت إلى شيركو وقال له:

-هل عرفت مغزى الرسالة، وماذا يُراد بك؟.

قال شيركو:

-أجل... إن الأمير يأمرك بقتلي.

فقال سعدون مذهولاً:

-ولماذا جئت إليّ ولم تحاول النجاة بنفسك؟

قال شيركو:

-لأنني لم أعوّد نفسي على مخالفة الأمير في صغيرة أو كبيرة، ولكنني لا أجد ذريعة تدعو الأمير إلى معاقبتي.

فلما سمع سعدون كلام شيركو سار به إلى الأمير فأعاد النظر في أقوال الوشاة فثبت له أن شيركو كان بريئاً مما نسب إليه ولم يكن قد اختلس شروى نقير من أموال الأمير... وأن أولئك القرويين البسطاء الذين أُستجوبوا وقالوا: هذه الأموال من عائدات شيركو. كانوا يحكمون على الأشياء من ظواهرها وكل ما قالوه كان رجماً بالغيب.

فندم الأمير على تصديق الوشاة وعلى تسرعه في إصدار حكمه على رجل من أعظم الرجال وفاءً وتضحيةً، وأراد أن يكفّر عن إساءته ويعتذر إليه.

إلا أن شيركو كان قد أرتحل عن البلاد سائحاً في طول الأرض وعرضها.

الرجل الأخرق

قال رجلٌ مسن لإبنه:

-يا بنيّ في حوزتي مائة "مجيدية" أريد أن تتصدق بها على رجل أحمق تختاره.

فلما مات الرجل تذكر الابن وصية أبيه، فأخذ المجيديات وبدأ يطوف ويجول في القرى بحثاً عن أشد الناس حماقة وغباءً. حتى قادته قدماه إلى قرية نائية كانت الأفراح فيها قائمة على قدم وساق.

ومما لفت نظرهُ شخص يركب حماراً بطريقة عكسية مستقبلاً مؤخرة الحمار مستدبراً رأسه وهو يتناول بإحدى يديه ذيل الحمار وكأنه يتناول رسنه وأطفال صغار ومراهقون يحيطون به، يسخرون منه ويستهزئون به. وفي الوقت نفسه شاهد رجلاً جالساً على حشية وثيرة متكئاً على الوسائد، وقد ارتدى ملابس فاخرة أنيقة، وحوله رجال يهنئونه بهذه المناسبة ويسعون إلى التقرب منه والتزلف إليه بكلمات معسولة.

حار الفتى مما برى فأراد أن يطّلع على هذا السر الغريب، لذلك سأل أحد القرويين عن هذا الشخص الذي يعبث به الصبيان وذاك الرجل الذي يجلس بوقار يحفُّ به القرويون يجلونه ويعظمونه. فقال القروي:

-من عاداتنا وأعرافنا المألوفة منذ القديم أن نختار كل عامين شخصاً لمنصب العمدة في قريتنا هذه، فإذا انقضى العامان أركبناه حماراً يطوف به في أرجاء القرية كما ترى، إعلاناً عن انتهاء وظيفته. ثم جئنا بآخر يسدُّ مسدّه ويملأ الفراغ الذي تركه، واحتفلنا به احتفالاً يليق بالعمدة كهذا الذي تراه جالساً تحف به الأبهة.

قال الفتى في نفسه: "الآن سأنفّذ وصية والدي".

ثم تقدم من العمدة الجديد وقال له:

-لقد أوصاني والدي قبل وفاته أن أعطي مائة مجيدية صدقة لرجل أحمق شديد الحمق والغباء فلم أجد أحداً سواك جديراً بهذه المجيديات.. لأنك تعلم أن الحمار سيكون في انتظارك بعد حولين لتركبه مقلوباً.

القروي الذي ترك بردعة الحمار رهينةً

كان قروي حطاب يقصد المدينة كل صباح ليبيع الحطب الذي يحمله على حماره. وكان يبيع حمله بعشر ليرات.

وفي أحد الأيام اصطحب ابنه إلى المدينة، وفي ذلك اليوم باع حمل الحطب باثنتي عشرة ليرة فخبأها في هميانه[٧] ثم لمس رأس ابنه برفق وحنان وقال له:

-كان حضورك معي فألاً حسناً فقد بعتُ الحمل باثنتي عشرة ليرة. وسوف ترافقني كل يومٍ.

تجولا في السوق... ومرّا بصاحب حانوت شواء للكباب. فدغدغت رائحة الشواء خياشيم الأب فقال متنهداً:

-ليتنا شبعنا كباباً مرة ذات يوم. فقال الإبن:

-ابتاه... إن البطيخ رخيص جداً... فهيّا نبتع بطيخة بعشرة قروش.

فاعترض الأب على اقتراح ابنه متباهياً:

-"أنا أبوك"... لقد أقسمت أن نأكل اليوم سبعة عشر "سيخاً" من الكباب.

وهكذا دخلا الحانوت، فطلب الأب من الشوّاء أن يعدّ لهما سبعة عشر "سيخاً". وبعد أن انتهيا من الأكل وأتيا على الكباب كلهِ، نهض الأب ووقف إزاء الشوّاء ودس يده في هميانه واخرج منه بكل كبرياء وفخار ليرتين ثم وضعهما أمام الشوّاء على المنضدة وقال له بلهجة آمرة: "هيّا خذ ثمن الكباب وأعد إليّ ما يبقى من الليرتين".

---

[٧] - الهميان: حزام يشد حول الخصر لحفظ النقود.

فقال الشوّاء مبتسماً:

-عماه... إنّ ثمن ما أكلتما من الكباب أثنتا عشرة ليرة.

فقال:

-دع هذا.. فلسنا نلعب، ولا وقت لدينا للعبث والمزاح فاعد إليّ... وهل تحسبني جاهلاً بأسعار الكباب إننا هنا في المدينة نتناوله كل يوم.

قال الشوّاء ضاحكاً:

-زوجتي مني طالق (بالطلاق) إن كنت قد ذقت الكباب في يوم من الأيام.

ثم مدّ يده إلى هميان القروي وانتزع منه بقية الليرات ثم أخرجه من المحل بركلة على ظهره...

عاد الرجل وابنه إلى "الخان" الإسطبل لاستلام الحمار فطلب صاحب الخان نصف ليرة أجرة مكوث الحمار في الخان فأقسم القروي أنه لا يملك مالاً وسوف يقضي له هذا الدين في المرة القادمة متى جاء إلى المدينة لبيع الحطب.

لكن صاحب الخان أبى أن يؤدي له الحمار إلا بعد أن احتفظ ببردعة الحمار رهينة لديه إلى حين سداد الدين.

عاد القروي وابنه مدحورين بائسين يلعنان الكباب وصاحبه، وقد آل على نفسه أن لا يذوق الكباب في يوم آخر.

الكوجري

في أحد الأعوام هطل الغيث قبل أوانه في فصل الخريف فنبتت الأعشاب واكتسى أديم الأرض بالنبات الأخضر. فلما خرج الرجلُ "الكوجري" إلى العراء وشاهد تباشير الخصب، ورأى الخضرة في كل مكان ظن أن الربيع مقدم عليه فعاد إلى البيت وجمع سوائمهُ وسار بها قاصداً المراعي البعيدة.. وبينما هو سائر بأغنامه لفت نظره وكر طائر وقد باض ثم فرّخ فتأكد له أنه في فصل الربيع، ولما مرت عدة أيام ونأى عن منزله في القرية.. هطلت الثلوج وغطت الأعشاب والنباتات فنفقت دوابه ومواشيه وعاد خائباً محسوراً... ولما وصل إلى المكان الذي صنع فيه الطائر عشه وجد الفراخ قد نفقت[٨] فقال يندب حظه العاثر وينحي باللائمة على الطائر المخدوع:

-" أيها الطائر المغفل البائس أشقيت نفسك وأشقيتني".

[٨] - من المعتاد أن تفرخ الطيور في الربيع.

الرجل الشرير

بعد أن اشتدت فاقة أحد القرويين المساكين ولم يجد ما يسد به جوعه ويستر عرُيه، حَمَل أمتعته على ظهر حماره وترك القرية مع زوجته وابنه الوحيد بحثاً عن عمل في مكان آخر...

في الطريق التقى به رجل شرير سأله عن وجهته فقال:

اننا نهاجر بحثاً عن عمل فليس في قريتنا ما أعمله.

قال الرجل الشرير:

-أيها الأخ لا تكن غبياً... عدْ إلى بيتك فكل القرى متشابهة تشكو الفقر والحاجة.

اقتنع القروي بنصيحة الرجل الشرير وعاد إلى قريته واضطر إلى بيع كثير من أمتعته لشراء القوت لأسرته وبعد مرور عام لم يجد لديه ما يدفع به سَوْرة الجوع. فوضع أللحف والفرش على ظهر الحمار ورحل بأسرته فلما سار شوطاً اعترضه ذلك الشرير وأقنعه بالعودة إلى القرية فلن يجد عملاً مهما سعى وبحث هنا وهناك. فعاد أدراجه، ولما انقضى العام كان قد باع الحمار وكل ما يقتنيه سوى قدرٍ عليها سخام خرج من القرية يحتضن القدر فتمس وجهه فيتخضب بالسخام، وزوجته وابنه سائران إلى جانبه فلما بلغ ذلك الطريق الذي اعتاد فيه على لقاء الرجل الشرير... قال له الرجل وقد رأى أثر السخام على وجهه:

-الآن تستطيع أن تذهب إلى طيتك كما تشاء فقد كنت آليت على نفسي أن لا تغادر هذه القرية وصفحة وجهك بيضاء نقية.

الأمير والشعرة

ذات صباح بينما كان الأمير ينظر إلى وجهه في المرآة استرعى انتباهه مشهد شعرة بيضاء فاكتأب وأحس بالمرارة فنادى إحدى الجواري وأمرها أن تجلب له مقصاً فلما أتته به أزال الشعرة البيضاء وقال لها:

-خذي هذه الشعر وخبئيها في مكان مّا.

فتناولت الجارية الشعرة وقربتها من أذنها ثم همست لها. فقال الأمير:

-ماذا قالت لك الشعرة؟

قالت الجارية:

-تقول الشعرة إنها كانت في مكان شريف من وجه الأمير فلماذا أبعدني عن رفيقاتي وقد كنت اسعد حال... فإن كان الأمير قد روّعه منظري كي لا أذكّره بإدبار زمن الشباب فإنّ جميع رفيقاتي سوى يرتدين هذا البياض.

المزارع حنا و "اللبنية"[٩]

كان موسم الحصاد على الأبواب وكان المزارع "حنا" قد استأجر عدداً كبيراً من العمال لحصد مزروعاته فأراد أن يقلل من الإنفاق على طعام الحاصدين فقال لزوجته:

-أكثري من المخيض وقللي من الحنطة.

فلما امتثلت لطلب زوجها وجد "حنا" ان كثيراً من الخبز قد استهلك.

فقال لها:

أكثري من الحنطة حتى لا تستهلك خبزاً كثيراً.

فلما فعلت ذلك وجد أن الحنطة قد استهلكت كثيراً.

وجعل يقول بين يوم وآخر:

أكثري من القمح.. أو أكثري من المخيض حتى برمت به زوجته فقالت: إنك تعلم إننا إنْ صنعنا "اللبنية" رقيقة استهلكنا خبزاً كثيراً وإن صنعناها سميكة استهلكنا قمحاً كثيراً. هما أمران ليس لهما ثالث فلماذا أراك دائم الحيرة والتردد فاختر أحد الأمرين ودع الحيرة. لأنَّ النتيجة واحدة.

[٩] - اللبنية أو "الميّر" وجبة تتخذ من اللبن المخيض والقمح المقشور.

من لا دين له لا عهد لهُ

يقال أن "كُركياً"[١٠] اعتاد أن يأتي كل صباح ويلقي بريشة على ناقوس "الدير" فلما رأى حارس الدير فعل الكركي شكاه إلى القس فقال القس:

-إنه حيوان، فلا تبال به.

فقال الحارس في نفسه لا بد لي من اختبار هذا الطائر ومعرفة مذهبه.

وفي الحال جاء ببعض أوراق الخس وإناء سكب فيه خمراً وصحفة وضع فيها لحم الجمل، ثم وضع ذلك كله قريباً من الناقوس. وانتظر حضور الكركي. وصبر عليه حتى أكل وشرب.

فهتف فيه الحارس موبخاً ومؤنباً:

-أيها الطائر الغريب... إنني في حيرة من أمرك، فلو كنت مسيحياً لما طرحت ريشك على الناقوس، ولو كنت يهودياً لما أكلت لحم الجمل، ولو كنت مسلماً لما شربت الخمر. ولو كنت يزيدياً لما طعمت من الخس فلا تعد إلى هذا المكان بعد اليوم فإن من لا دين له، لا عهد له.

[١٠] - الكركي طائر طويل العنق والساقين شبيه باللقلق.

الجزاء من نوع العمل

في مناطق الزوزان تهطل الثلوج مدة ستة شهور فيضطر أصحاب الأغنام على إبقائها في الحظائر... وفي هذه الشهور تنطلق الذئاب الجائعة بحثاً عن الفرائس.

يقال إن جماعة من الذئاب المسعورة الجائعة وصلت إلى إحدى القرى، وقادتها حاسة شمها القوية إلى حظيرة أغنام أحد القرويين واستطاعت دخولها من ثغرة "كوة" وبدأت تفتك بالأغنام وتنهش لحمها وبعد أن شبعت تراجعت إلى الوراء وأسندت ظهورها إلى الجدار.

وفي الصباح دخل القروي وزوجته الزريبة لتفقد سوائمه فشاهدا خمسة عشر ذئباً وعدداً من من جثث الشياه وأشلائها المبعثرة على أرض الحظيرة فأغلقا الباب واستنجدا بالقرويين فاقترحوا أن يأتوا بخمسة عشر كلباً من الكلاب المعروفة بضخامة أجسامها وقوة بأسها وبطشها بالذئاب.

أدخلوا الكلاب التي وقفت أمام الذئاب متأهبة للعراك... مرت عدة ساعات دون أن تتجرأ الكلاب على مبادرة الهجوم. وفي هذه الأثناء دخل القرية رجل غجري في صحبته كلب قزم، وبعد أن عرف كل شيء عما حدث قال:

-دعوا لي الأمر فسوف أثير الفتنة بين الكلاب والذئاب.

ثم إن الغجري مضى بكلبه إلى تلك الكوة التي دخلت منها الذئاب، وحين شاهد كلب الغجري الذئاب انقض على أقرب ذئب منه وعض على حنجرته فامتلأت الحظيرة بالصراخ والنباح والهرير، وفي الحال اهتاجت الكلاب وهاجمت الذئاب وقضت عليها بعد معركة ضروس وحرب طاحنة.

يقال إن القرويين ضافروا جهودهم وعوضوا الرجل المنكوب عما أكلته الذئاب من الأغنام.

رعاة الأغنام

بينما كنت في ضيافة قروي، رأيت قدوم قطيع كبير من الشياه مع راع ومساعده ثم شاهدت سيارة توقفت لدى القطيع نزل منها رجل نصف (في منتصف العمر) ثم سار ودخل علينا المضافة وحيانا فدعوناه إلى الجلوس ورحبنا به.

بعد أن قدم له صاحب الدار القهوة والشاي وانتهى من شربهما قال يسألنا:

-أي قوم من الأقوام أنتم.

قلنا:

-نحن أكراد.

كان يتكلم اللغة العربية.

قال:

-أيها الإخوان إنكم ترونني عربياً.. ولكنني في الحقيقة ابن رجل مهاجر من مهاجري "وان" في تركيا. لقد فرّ والدي في زمن الحرب الكونية الأولى إلى هذه البلاد وتعاطى الرعي في مناطق حمص وحماه.. تزوج من امرأة وكنت ابنه الوحيد، ولم أكن أعلم أن والدي كردي. عندما بلغت السنة الخامسة عشرة وقوي ساعدي، تناول والدي يدي وأجلسني إلى جانبه وقال لي:

-اعلم يا ابني محمد... إنني كردي... إنني من أهل سهول "وان" اسم قريتنا "دار كُهيزا" فقد تشتاق وتحن إلى أرض الوطن.

ثم سلمني صورته وبطاقته الشخصية ولم يمضِ أمد طويل حتى وافته المنية، ولم يبق من أسرتنا سواي وسوى والدتي العربية.

في يوم من الأيام أمعنت الفكر في أحوالي وتأملت ملياً فأدركت أن ليس لي أهل في هذه الأرجاء... وقررت الذهاب إلى حيث يقيم الأهل... وفي هذه الفترة كنت قد غدوت صاحب ألفي رأس من الغنم فبعت خمسمائة وألف رأس... فابتعت ببعض ثمنها سيارة، ثم اقتنيت جواز سفر وحملت معي بقية المبلغ وسافرت بسيارتي إلى موطن الأهل.. تجولت هناك في المدن والقرى حتى وصلت إلى قرية والدي.. وزرت بيوت القرية بيتاً بيتاً... ولكن دون جدوى... لأنني لم أكن أعرف اللغة الكردية، وكانوا يجهلون العربية فكان ذلك كله حاجزاً بيننا. فبحثت عن شخص مترجم يزيل هذا الحاجز... وفي القرية التقينا بامرأة طاعنة في السن وقلت لها:

-إنني ابن أحمد بن أوصمان، وقد هاجر والدي في أيام الـ"سفر بلك" وترك البلاد. فتنهدت المرأة متحسرة وقالت:

-سحقاً للعثمانيين الأتراك، فقد شتتونا وبعثروا جموعنا... في الحقيقة إن أحمد بن أوصمان هو ابن عمي.

قلنا لها:

-وهذه صورته معنا.

فقالت:

-لم أكن قد ولدت آنذاك والصورة لن تفيدني في شيء. إلا أن والدي كان يقول دائماً:

-إن أحمد ابن أخي أوصمان ذَهَب ولم يعد.

تناولت المرأة صورة والدي ثم نهضت وقالت:

-هيا بنا إلى البيت.

ذهبنا إلى بيتها حيث قدمت لنا لحم جَدي وتناولنا غداءنا.

نهضت المرأة وقالت:

-سوف أذهب إلى القرية التي يقيم فيها أحد أقاربنا وسوف أحضره معي إلى هنا. وبعد أن حضر الرجل تمت بيننا المعرفة... ومكثت هناك عشرة أيام... ثم أعطيت مالاً لقريبي كي يبني لي داراً.

ثم عدت إلى بيتي وخيّرت كل واحدة من زوجتيّ الاثنتين بين البقاء في بيتها والذهاب معي إلى أهلي فوافقت إحداهما وكذا بنتها على السفر معي أما الثانية وابنتها فقد رفضتا ذلك وآثرتا البقاء. إستتب بنا المقام في بلدي.. حيث تزوجت ابنتي من أحد أقربائي.. كما تزوجت من ابنة أحد أقاربي بعد ما حال الحول رُزقت بمولود ذكر.

بعد مرور عامين زرت بيتي القديم وقد رضيت زوجتي وابنتها الآن بالهجرة إلى بلدي وفي غضون أيام ستسمن شياهي وسوف أبيعها لنرحل إلى الوطن.

أدوا أماناتكم

كان أحد الرعاة يسرح سوائمه في البرية، وفجأة سمع صوتاً يقول:

-يا خليل.. إن شقيقتي موجودة في بيتكم، فإذا ذهبت إلى البيت فقل لها: إن سلفك مريض وعليك الإسراع في الذهاب إليه.

عاد الراعي إلى البيت... تناول طعامه حتى اكتظت معدته، ونام قليلاً... وبعد أن أفاق من رقاده تذكر ذاك النداء الذي سمعه في العراء: "يا خليل إن شقيقتي... الخ...

ولم يكد ينتهي من التذكّر حتى سمع هاتفاً يقول كالمستهزئ به:

-أجل يا خليل بعد أن اتخمت من الطعام ونمت نوماً عميقاً جئت لنجدتي.

الأمير وزوجة وزيره

مر يوماً أمير "دوميلا" بالقرب من قصر وزيره فوقعت نظراته على زوجة الوزير التي سحرته بجمالها وحسنها، فهام بها وجداً وعزم على لقائها. لذلك- في اليوم التالي- كلف وزيره بالذهاب إلى منطقة نائية لأداء مهمة، كي يختلي بزوجته في حال غيابه.

ارتدى الأمير ثيابه وتوجه إلى دار الوزير فاستقبلته زوجة الوزير ولثمت يده...

جلس الأمير برهة ثم ناداها ودعاها إلى الجلوس بجانبه ففهمت المرأة غايته وقالت له:

-سيدي الأمير... إن زوجي الوزير غائب عن المنزل... وسوف أهيئ طعاماً لغداء أميري.

وبعد أن تتناول الطعام سآتي للجلوس إلى جانبك.

نهضت المرأة وأعدت طعاماً من سبع بيضات كل بيضة مطلية بلون يختلف عن ألوان سائر البيضات ثم وضعت البيضات أمام الأمير، فلما تناول الأمير البيضات السبع وجد أن الطعم واحد وإن اختلفت الألوان وتباينت.

بعد أن نال الأمير وطره من البيض قال لزوجة الوزير:

-لماذا كان الطعم واحداً؟.

-مولاي الأمير... إن النساء جميعاً سواسية في الطعم كهذه البيضات.

وعندئذ أحس الأمير بالخجل وندم على سلوكه مع زوجة وزيره... ومن فرط خجله نسي سبحته في دار الوزير.

عاد الوزير من سفره إلى البيت وجلس على الحشية التي جلس عليها الأمير ثم ما لبث أن دس يده تحت الفراش فتعثرت بسبحة الأمير... رأى سبحة الأمير ولكنه لم يذكر شيئاً لزوجته وكتم عنها غيظه.

وفي اليوم الثاني قال الوزير لزوجته:

-إنّ أمك مريضة قليلاً وقد أرسلت تطلب حضورك.

عندما وصلت إلى بيت والدتها سألتها عما بها فنفت أن تكون مريضة أو أنها استدعتها. فأدركت أن في المسألة سراً.

مكثت المرأة في بيت والدها حولاً، فذهب والدها إلى الأمير وأخبره بما فعل وزيره.

مثل الوزير وحموه –والد زوجته- أمام الأمير. قال الأمير يسأل والد الزوجة:

-ماذا تريد؟

قال الرجل:

-كانت لديّ حديقة غناء سلمتها لهذا الوزير وصار قيّماً عليها.. ظل بتعهدها بالرفق والعناية فكانت الحديقة تنمو وتزدهر... ثم أنه منذ عام أهملها إهمالاً ذريعاً وترك سقيها فيبست الأفنان وجفت الأغصان وسقطت الأوراق وقلّت الثمرات.

التفت الأمير إلى الوزير وسأله:

-لماذا تفعل ذلك ألست قيّماً.

فقال الوزير:

-في العامين السابقين كنت شديد الاهتمام بها... بيد أنني في العام المنصرم رأيت آثار سبع في وسط الحديقة، ومنذ ذلك العام لم أزرها خشية أن يبطش بي ذاك السبع الضاري.

كان الحاضرون في مجلس الأمير يصغون إلى هذا الحوار وهم لا يعرفون شيئاً عما تعني تلك الكلمات.

قال الأمير:

-لا ريب في أنّ ذلك السبع لم يلحق أي أذى بحديقتك.. فإنه لم يقطع غصناً ولم يقطف وردة ولم يجْنِ عنقوداً... إن حديقتك حديقة مباركة فحافظ عليها فإنها تستحق كل احترام وتقدير.

وفي اليوم التالي ذهب الوزير إلى دار حميه واعتذر لزوجته وأعادها إلى البيت وقد ازداد بهاً هياماً وإعجاباً.

الفرخ الدخيل

يقال أن لقلقاً من طيور اللقلق كان يألف برج قلعة، ويبني في ذروته وكراً سكناً له ولفراخه... لقد كان يبيض في هذا الوكر ويفّرخ فيمتلئ المكان بعدد من اللقالق الصغيرة.

وفي أحد الأيام وضع شخص شرير بيضة غراب في وكر هذا اللقلق للعبث به.

فقست البيضات وخرجت الفراخ فلاحظ اللقلق الذكر أن بين أولاده فرخاً أسود اللون يختلف عن الفراخ الأخرى فغضب وجنّ جنونه فطار وغاب هنية ثم عاد في صحبة سرب من اللقالق التي تناولت الغراب بمناقيرها وطارت بها بعيداً خشية الفضيحة.. أو أن يلحق العار باللقلق الأم.

الرائد السّيء يفضي إلى سبيل الضلال

يقال أن شاه "سرحدان" كان يشكو من طفح في جبهته، عجز الأطباء عن وصف دواء ناجعٍ يبرئه من هذا الطفح الجلدي.

وفي أحد الأيام زاره طبيب يوناني استطاع ان يشخّص مرضه ويصف له الدواء فقال:

-الدواء الناجع ليس سوى دم طائر الباز.

فقال الشاه:

-ومن أين سنحصل على بازٍ.

فتكلم رجل مسن كان حاضراً وقال:

-مولاي الشاه... إن طائر الباز مع وزيره يزور منطقة "سيباني خلاتي" في الأول من شهر أيلول كل عام حيث يبدأ عيد "المهرجان". وعندئذ نستطيع أن ننصب له الشراك ونصطاده.

أعدّ العدة لهذا الغرض فوضع الصيادون شاة في الفخ لاجتذاب الطائر واصطياده.

وفي الموعد المعلوم حضر الباز ووزيراه العقاب والشاهين فلما شاهد الباز الشاة تقدم من المصيدة ليأكل اللحم الشهي.. فقال له وزيراه:

-لا تفعل ذلك يا مولانا فربما كان اللحم ساماً... لا بد أن نتأكد من ذلك.

تقدمت العقاب وتناولت اللحم... وقالت إن هلكت فلا تذوقا لحم هذه الشاة واكون قد فديت الباز بحياتي.

تناولت العقاب قسطاً من اللحم ثم ما لبثت أن نفقت.

فنجا الشاه من هلاك محتم...

وفي العام التالي وفي الموعد نفسه حضر الشاه مع وزيره الشاهين الذي حذّر الباز من تناول لحم المصيدة فأكل وهلك مفدياً الباز لتجاوز العاقبة الوخيمة.

وفي السنة الثالثة بدأ المهرجان في موعده فحضر الباز مع وزيريه الجديدين "سَروري" و "تُروري" بعد هلكت العقاب وهلك الشاهين. وكان الصيادون قد وضعوا لحم شاة في الشراك فقال الباز ما أشهى هذا اللحم فقال له وزيراه "سروري و تروري"...

-حقاً يا مولاي.. إنه يليق بمقامكم فهنيئاً لكم.

تقدم الباز وبدأ ينهش اللحم... ولم تمضِ إلا فترة قصيرة حتى دب السم في جسدهِ وخرّ على الأرض... ولما حضر الصيادون ووجدوه رهين المصيدة. ذهبوا به إلى الشاه. سأل الشاه الطائر:

-قل لي كيف نجوت في المرتين السابقتين ونحوت؟

قال الباز:

-عندما كان وزيراي العقاب والشاهين منعاني من أكل الشاة... ولما استوزرت "سروري" و "تروري" آلت حالي إلى هذه الحال.

الثعالب لا تصير اسوداً

كان محمد بك يقتني قرية في سهول "سليفا". وكان رجلٌ يُدعى "حسين" يدبر شؤون القرية ويرعى أمور القرويين، فهو ينهض بأعباء "العمدة" بعد أن خوّله محمد بك لهذا المنصب. وكان محمد آغا يزور القرية في العام ثلاث مرات أو أربعاً إذ كان مقيماً في مدينة "دياربكر"، وينزل ضيفاً في دار وكيله العمدة حسين.

وفي إحدى الزيارات قدّم له مضيفه لحماً وضعه على صحفة من البرغل... وقدم لأولاده الخمسة صحفة برغل عليها وفر من اللحم. وقد لفت نظر الضيف أن هؤلاء الأطفال يتناولون الطعام بملعقة واحدة يتناوبون في ذلك دون تبرّم أو تذمر وكل ينتظر وهم صامتون صمتاً مطبقاً. فاستغرب ذلك وسأل مضيفه قائلاً:

-هل هؤلاء جميعاً بنات وصبايا؟

فقال صاحب الدار.

-بل هم جميعاً أبناء... إنهم خدامك.

فابتسم محمد بك وقال:

-فليكن الرب حاميهم. وانني أرغب في تزويجك من امرأة أخرى فماذا تقول؟

قال حسين بك:

-كما تشاء يا سيدي.

وفي غداة يومٍ خرج محمد بك يرافقه وكيله وتوجها إلى عشيرة "ديوان" المعروفة ببسالتها المقيمة في أرجاء قلعة "نعمان بكي" وهناك خطب إحدى الفتيات لحسين الذين سار بها إلى قريته.

بعد ستة أعوام من زواج العمدة حسين زاره محمد بك فقدم له ذبيحة طعاماً لغدائه..، ولما ألقى نظرة إلى باحة الدار فرأى خمسة صبيان قد غرسوا أوتاداً وشدوا عليها خيوطاً فبدت كأنها نَوْل، وبدوا كأنهم حائكون... وكان بالقرب منهم صبي أصغر منهم يحمل عصا كما يحمل احدهم بندقية، يوجهها إلى تلك العيدان ويقول:

-دعوني اصوب بندقيتي إلى هذه الأهداف.

فقال محمد بك:

-هؤلاء الخمسة هم أبناؤك السابقون وقد عرفتهم فمن هذا الآخر الذي يصوّب عصاه البندقية إلى تلك العيدان.

فقال العمدة:

-إنه ابن تلك المرأة التي خطبتها لي منذ ستة أعوام.

فقال له محمد بك:

-ومن هم أخواله؟

قال العمدة:

-إنهم في الأصل من "إيستل" وهم أهل نولٍ وحياكة.

فضحك محمد بك وقال:

لذلك نراهم يصنعون كأخوالهم. أما الآخر فهو يقلد أخواله أصحاب البأس والقتال.

بوغي "بريفا"[11]

بينما كان "سلو بك" منهمكاً في تشييد ثكنة "نصيبين" آزرته الحكومة العثمانية برجال من العشائر. وكان إبراهيم آغا الدقوري قد ساهم في بناء الثكنة بعشرين رجلاً كان بينهم "بوغي بريفا" –عفدلو-.

وكان بين رجال "سلو بكي" رجل من هذا القبيل اعتاد أن ينهض صباحاً ويدعو إلى المبارزة. فلما كثر تبجحه قال إبراهيم آغا لـ "عفدلو".

-كيف تجد نفسك؟

فقال عفدلو "بوغي بريفا":

-سيدي الآغا.. إنني جائع الآن فأشبعني يومين وسوف ترى.

وبعد أن غذاه إبراهيم آغا لحماً دسماً وبرغلاً ثلاثة أيام قال في اليوم الرابع:

-والآن ماذا ترى؟

قال عفدلو:

-إنني كما تشاء وتتمنى.

وكالعادة المألوفة نهض عملاق "سلو بكي" ودعا إلى المصارعة والمبارزة. وما ان رآه "بوغي بريفا" حتى كرّ عليه وطوق خصره بيديه وطرحه على الأرض ثم جلس على صدره. ولم يتركه وشأنه حتى حضر إبراهيم آغا وخلص الرجل من بين يدي "بوغي بريفا" بعد جهد وإلحاح شديد.

[11] - بريفا: قرية متاخمة لمدينة عامودة. كان يعيش فيها رجل قوي البنيان هائل الجثة يلقبونه بـ بوغي بريفا. وكلمة بوغ تعني في اللغة الكردية قوي أو عملاق أو بطل. فيكون المعنى: "بطل بريفا".

قال "سلو بكي" حين وصل إليه النبأ:

-من ذا الذي فعل هذا بالرجل؟

فقال عفدلو:

-أنا الذي فعل ذلك سيدي البك.

ربت "سلو بكي" على ظهر عفدلو وقال:

-مرحى لك.

ثم أهدى "سلو بكي" عباءة إلى إبراهيم الدقوري وقال له: اذهب راشداً وعُدْ برجالك إلى بيوتهم فقد استغنيت عن خدمتهم مكافأة لـ"عفدلو".

إن عملت عملاً فاتقنه

يقال إنه كان في مدينة الموصل تاجران بينهما خصومة وشحناء. وذات صباح بكَّر أحدهما في الحضور إلى "الجاي خانه" وما أن استتب به الجلوس حتى شاهد خصمه التاجر قادماً إلى "الجاي خانه"[١٢] فنادى شخصاً معروفاً بشراسته وسوء أخلاقه كان يتردد إلى "الجاي خانه" وقال له:

-أترى ذلك الرجل القادم إلى هنا؟ فإذا وصل وأراد الجلوس فأزح الكرسي من تحته قبل ان يتمكن من الجلوس... فإن فعلت ذلك نَفَحْتُكَ بليرة ذهبية.

فسّر الرجل بهذا الاقتراح المغري دون التفكير في العواقب، فلما أراد التاجر أن يجلس بادر ذلك الشخص إلى إزاحة الكرسي فسقط التاجر على الأرض. وعندما نظر إلى الأعلى التفت نظراته بالفاعل وعرفه. وأضمر في نفسه أن يثأر لكرامته فرفع أمره إلى المحكمة حتى استطاع إقناع القاضي بإصدار عقوبة قصوى في حق الشخص الذي ارتكب هذا الفعل.

وفي خاتمة المطاف صدر الحكم عليه بالإعدام شنقاً وفي اليوم الذي نُفّذ فيه الحكم تقدم التاجر من الكرسي الذي يقف عليه المحكوم عليه بالإعدام وسحب الكرسي من تحت قدميه وقال:

-هكذا يجب أن يسحب الكرسي... لا كما سحبته دون حكمة أو تفكير.

[١٢] - الجاي خانه: مكان أو حانوت لتقديم كؤوس الشاي.

التعلق بتربة الوطن

يقال أن مستشرقاً زار منطقة كردستان تركيا بعد ثورة الشيخ سعيد[١٣] فوجد القرى خاوية على عروشها ليس فيها أحد خشية بطش السلطة التركية. إلا أنه بعد تجوال طويل شاهد رجلاً طاعناً في السن يسند ظهره إلى جدار فاقترب منه المستشرق وقال له:

-أيها العجوز... ماذا تفعل هنا... وما الذي يكرهك على البقاء في أرض خالية وبيوت مهجورة ليس فيها انيس؟.

فقال الرجل المسن:

-إن ما يشدني إلى هذا المكان هو حبي وتعلقي بتربة الآباء والأجداد.

وعندئذ أخرج المستشرق دفتر مذكراته ودوّن فيه:

إن شعباً يكون على هذه الدرجة من حب وتعلق الوطن لن يَضيع ولن يموت.

[١٣] - ثورة الشيخ سعيد بيران كانت عام ١٩٢٥م.

من يقرأ؟ ومن يسمع؟

في أحد الأيام هبط ثعلب الجبل من منطقة أومريان إلى سهل "ماردين" حيث التقى في طريقه بثعلب البرية.. سأله ثعلب البرية:

-من أين أنت قادم أيها الأخ الفاضل؟

قال ثعلب الجبل:

-إنني قادم من جبل "أومريان".

قال ثعلب البرية:

-توجد هنا كلاب أخشى عليك من شرورها.

قال ثعلب الجبل:

-ليس من بأس... فأنا أحمل جواز سفر ولن يتعرض لي أحد بسوء.

سارا مسافة حتى اقتربا من إحدى القرى شمت الكلاب رائحة الثعلبين فخرجت وشنت حملة شعواء عليهما فأطلقا أرجلهما للريح واشتدا في الهرب.. كان ثعلب الجبل يشتد في الجري حين قال له ثعلب البرية: "ما بالك ممعناً في الفرار وفي حوزتك جواز سفر" فقال:

-هذا صحيح... ولكن من يقرأ؟ ومن يسمع؟.

فصيح الـ"موشي"

يقول: فصيح الموشي:

كنت –في أثناء انتفاضة "جبل آكري" أحد المحاربين تحت إمرة إحسان نوري باشا. وبعد اندحار الثورة وهزيمتنا لجأت مع بعض الرفاق إلى الجبال. وبدأنا في ممارسة اللصوصية وقطع الطرق على المسافرين وسلبهم، ولم نكن نتعرض إلا لرجال الدولة وموظفيها.

في ليلة مقمرة رأينا سيارة جيب عسكرية تتقدم باتجاهنا. فهبطنا من الجبل وقطعنا الطريق على السيارة واستوقفناها. كان فيها ثلاثة أشخاص بالزيّ المدني ترافقهم امرأة.

أرغمنا الرجال والمرأة على الترجل من السيارة تحرينا الرجال بتفتيش دقيق وسلبناهم كل ما كان في حوزتهم من ممتلكات وأموال. وأخيراً توجه أحد رجالنا إلى المرأة ليسلب ما تتحلى به المرأة من أسوره وقلائد ذهبية، فصرخت فيه:

-دع المرأة بسلام ولا تكن كالأتراك السفلة الذين يعتدون على النساء... إن جميع النساء شرفنا وموضع كرامتنا..

أذعن الرجل لطلبي وأخلى سبيلها، ثم عاد الجميع إلى امتطاء سيارتهم واستأنفوا سيرهم.

بعد مرور ثلاثة أعوام على هذه الحادثة استطاعت الحكومة التركية أن تكتشف مكاني وتأسرني وتلقي بي في السجن في دياربكر – عن طريق المخبرين السريين.

كنت على يقين من صدور الحكم عليّ بالإعدام، إلا أن بعض السجناء اقترحوا عليّ توكيل محام للدفاع عني، ولكنني كنت بالغ اليأس فلم أحرك ساكناً. ومكثت في السجن مدة ستة أشهر دون محاكمة. وفي أحد الأيام فتح شرطي باب السجن ونادى:

-اخرج يا فصيح.

انتصبت واقفاً، وقلت في نفسي هذه هي النهاية.

بعد ما خرجت من غرفة السجن قال لي الشرطي:

-إن كانت لك أمتعة في السجن فاجلبها... لقد صدر قرار المحكمة بالإفراج عنك والعفو عنك.

أصابني ذهول واندهاش مما سمعت فقلت له:

-إن كان هذا صحيحاً فتصدقوا بأمتعتي للمساجين البؤساء.

عندما وصلت إلى بوابة السجن وجدت سيارة جيب متوقفة هناك، يقف إزاءها شخص بادرني بالسؤال باللغة التركية:

-أين هو منزلك؟.

قلت:

-إنني أقيم في قرية "خانكي" من قضاء "موش".

فقال:

-تفضل بالركوب لأمضي بك إلى بيتك.

وحتى تلك اللحظة لم أكن أفهم شيئاً ولم أكن أصدق أذني.

بعد أن سرنا قليلاً قلت لصاحب السيارة:

-هلا أخبرتني كيف أُفرج عني؟. فقال:

-دع هذا الآن وسوف تعرف كل شيء فيما بعد.

وبعد أن سرنا أشواطاً وقطعنا المسافات مرحلة مرحلة وصلنا إلى القرية. فلما وصل النبأ إلى الأهل والأقارب جاءوا لتهنئتي، وبدأوا يقدمون الذبائح وإقامة الولائم ويقيمون الأفراح بعزف المزامير وقرع الطبول. وبعد أن تناولنا الطعام خرج صاحب السيارة وغاب قليلاً ثم عاد وعليه ملابس جنرال كبير مزينة بالأوسمة.

ووقف في وسط الحاضرين وقال يخاطبني:

-قبل ثلاث سنوات اعترضتم طريقنا وأرغمتمونا على الاستسلام وسلبتم ما كان لدينا من أموال وكانت تلك المرأة التي ترافقني هي زوجتي وكنت في ذلك الوقت أرتدي ملابس مدنية. توجه شخص منكم إلى زوجتي وحاول نزع حليها ولكنك صرخت فيه ومنعته من ذلك وقلت:

-لسنا على شاكلة الأتراك السفلة حتى نسيء إلى النساء... لقد حفظت يا فصيح كرامتي وصنت شرفي. وعندما ألقي القبض عليك ظهر الخبر في الصحف... وأنك ستلقى جزاءك.. تناولت صحيفة وعدت بها إلى البيت... وعندما قرأت زوجتي الخبر قالت لي:

-أليس هو فصيح الذي أنقذني من قطاع الطرق؟. فقلت لها:

-أجل، إنه هو بنفسه.

كانت زوجتي تمارس مهنة المحاماة فتولت مهمة الدفاع عنك.. أما أنا فقد بذلت قصارى جهدي في الدفاع عنك حتى أنقذناك من حبل المشنقة... وها أنت تراني قد أحضرتك إلى دارك... إنني تركي ولكنني لست تركياً نذلاً أو سافلاً. ثم ودعنا وخرج...

عندما يكون الحظ سيئاً

تزوجت امرأة من فتى مات بعد ثلاث سنوات من الزواج. فتزوجت المرأة من شقيق زوجها الراحل ولم يلبث هذا الزوج أن لحق بشقيقه... فترملت المرأة مرة أخرى، ولم يكن قد بقي من أسرة زوجيها الراحلين سوى صبي صغير في السابعة من عمره.

وفي أحد الأيام حملت المرأة جرتها وتوجهت إلى الينبوع خارج العمران فرأت الصبي الصغير ذي السنوات السبع يستحم في غدير فرأت متاع الصبي يطفو فوق صفحة الماء فتأملته قليلاً ثم قالت:

-فلأجرّب هذا أيضاً، ولكن الحظ السيء يظل سيئاً.

سخرية القدر

في الأيام الغابرة كان جبل "عبدالعزيز" مأهولاً بالوعول والغزلان والظباء، وكان الصيادون يرتدون جلود الوعول للاحتيال على الحيوانات وصيدها.

وكان رجل وابنه قد اعتادان على هذه الحيلة فيخرجان معاً وكل منهما يتنكب بندقيته.

وفي أحد الأيام خرج الابن إلى الصيد مرتدياً فروة وعلٍ دون أن يخبر به أباه ثم ما لبث الأب أن خرج لغرض الاصطياد وفي الطريق إلى الجبل شاهد وعلاً قريباً فصوب إليه بندقيته وأرداه قتيلاً فلما وصل إليه تبين أنه قد ارتكب خطأً شنيعاً فقد قتل ابنه وهو لا يدري.

فظل الرجل يبكي وينوح ويقول في لوعة وتفجع وأسى:

-ليت أباك أصيب بالعمى

يا ولدي...

الناس يصطادون الوعول والغزلان

أما أنا فقد اصطدت ولدي سيدو..".

وهي أغنية شعبية مليئة بالكرب والتألم والحزن العميق.

ليست الشهامة من شيم الجميع

يقال إن ذئباً بعد أن هرم وطعن في السن ولم يعد قادراً على الصيد لجأ إلى كنف صخرة واتخذ مكانه هناك.

وبينما كان أحد الذئاب يتجول هناك شاهد الذئب الهرم فاقترب منه وسأله:

-ماذا تفعل عند هذا الجرف أيها العم؟

فأجاب:

-يا بني... لقد هرمت وعجزت عن تحصيل ما يسد جوعي ويبقي على حشاشة روحي.

فقال الذئب الفتيّ:

-لا تشغل بالك كثيراً بهذا الأمر...عما قريب سأجلب لك صيداً ثميناً.

سأله الذئب الهرم:

-من أيّ جنس من أجناس الذئاب أنت؟.

قال الذئب الفتيّ:

-أنا من ذوي الظهور السوداء.

قال الهرم:

-ما كان أصحاب الظهور السوداء يصطنعون مأثرة أو بطولة، ولكن لا بأس... اذهب وسوف نرى.

اقتحم الذئب الفتيّ قطيعاً من الشياة. ولكنّ كلاب الرعاة تصدت له وأرغمته على الفرار فمر بالقرب من الذئب المسن فلحقته الكلاب ولما شاهدت الكلاب الذئب القابع لدى الجرف تركت الذئب الفتيّ وعادت إلى الذئب الهرم فأمعنت فيه جرحاً مثخناً في كل رقعة من جسمه ثم تركته في أسوأ حالة فشرع يلعق جروحه مدة عشرة أيام حتى شفيت جروحه.

بعد ذلك أتاه ذئب آخر وسأله:

أيها العم ما معنى وجودك هنا؟

فروى له حكايته مع الذئب والكلاب.

فقال الذئب الآخر:

-لا تكتئب فسوف آتيك بطعام دسم.

سأله الذئب المسن:

-من أية عائلة أنت يا بني؟

قال:

-أنني انتمي إلى أصحاب الظهور الزرقاء.

فقال المسن:

-حقاً... إنكم أصحاب نخوة وشهامة وانتم أهل فضل وشجاعة.

غاب الذئب قليلاً... ثم عاد إليه بصيد جسد.

بدأ الذئب يأكل من هذا الصيد حتى قويت بنيته وغدا قادراً على السير والحركة ثم ذهب يسعى في جنبات الأرض.

الفهرس

مقدمة النسخة الكردية..... ٥
سيرة الكاتب والشاعر تيريز..... ٧

الجزء الأول

موطن الآباء والأجداد..... ١١
النجار..... ١٢
يخال السيئون أن الربيع غير آت..... ١٤
ليث الزوزان..... ١٦
مدينة "هسكيف"..... ١٧
"فرحو" ابن عزير آغا..... ١٩
أمير هكاري..... ٢٠
الحية والقبة البيضاء..... ٢٣
بلو..... ٢٥
تحتا بَش..... ٢٧
المقبرة..... ٢٨
الفتوى..... ٢٩
الشيخ زنكي..... ٣٠
محصل ضرائب الحمير..... ٣١
رداء الملا..... ٣٣

بدرخان بك..... ٣٤
ابن التاجر..... ٣٥
الملا وديكه الرومي..... ٣٧
ثعلب سعيدو..... ٣٩
جميل سيدا..... ٤٠
هذا ما تعلمته من كلبي..... ٤٢
فتى من الفتيان وابنة العمدة..... ٤٣
البائس وعابر السبيل..... ٤٥
ثورة الشيخ سعيد..... ٤٦
كوخ المرأة العجوز أبهى من قصر الأمير..... ٤٨
الولد الطائش..... ٤٩
البهلوان..... ٥٢
الحطاب ٥٣
يحسن العفو عند المقدرة..... ٥٤
العجوز الفلاح..... ٥٦
القثاء المر..... ٥٧
من مكائد النساء..... ٥٩
إيبو بك..... ٦١
السلطان..... ٦٣
حسين آغا الزيلي..... ٦٥
تمر باشا..... ٦٨
الذئب والغنم..... ٦٩
بدرخان بك أمير جزيرة بوتان..... ٧١

صدق أو لا تصدق..... ٧٤
أمير ملان..... ٧٧
علي رمو..... ٧٨
إن بعد العسر يسراً..... ٨٠
التمر..... ٨٣
البطيخ بات..... ٨٥

الجزء الثاني

كهف الجان ٨٩
السارق الذي سرق ثور جاره..... ٩٣
لا يدوم ظلم لغاشم وعقبى الظلم وخيم..... ٩٦
كيد النساء العجائز..... ٩٨
رنين الكأس..... ١٠٠
الغريب لا يكون لك بصاحب إلا إلى حين..... ١٠٢
الرجل الخبير بالتبغ..... ١٠٥
حمو و علو..... ١٠٦
الأمير والوكيل..... ١٠٨
الرجل الأخرق..... ١١٠
القروي الذي ترك بردعة الحمار رهينة..... ١١٢
الكوجري..... ١١٤
الرجل الشرير..... ١١٥
الأمير والشعرة..... ١١٦
المزارع حنا واللبنية..... ١١٧

من لا دين له لا عهد له..... ١١٨
الجزاء من نوع العمل..... ١١٩
رعاة الأغنام..... ١٢٠
أدوا أماناتكم..... ١٢٣
الأمير وزوجة وزيره..... ١٢٤
الفرخ الدخيل..... ١٢٧
الرائد السيء يفضي إلى سبيل الضلال..... ١٢٨
الثعالب لا تصير اسوداً..... ١٣٠
بوغي بريفا..... ١٣٢
إن عملت عملاً فأتقنه..... ١٣٤
التعلق بتربة الوطن..... ١٣٥
من يقرأ ومن يسمع؟..... ١٣٦
فصيح الموشي..... ١٣٧
عندما يكون الحظ شيئاً..... ١٤٠
سخرية القدر..... ١٤١
ليست الشهامة من شيم الجميع..... ١٤٢
الفهرس..... ١٤٥